

ثانياً

نص المفرد

الرد على مسائل الإباضية

مما سأل عنها عبد الله بن أحمد التميمي (١).

الإمام الناصر لدين الله ، أحمد بن يحيى

ابن (٢) الإمام الهادي ، صلوات الله عليهما ، وعلى

آبائهما الطاهرين ، وسلم تسليماً .

تحقيق ودراسة

١ / إمام تنفع عبده الله

(١) هو عبد الله بن أحمد بن طالب التميمي ، أبو العباس : قاض ، مالكي ، من علماء الفقهاء ، من بنى عم الأغلبية أمراء القيروان . ولد سنة ٢١٧هـ ، ولى قضاء القيروان مرتين أحدهما سنة ٢٥٧ - ٢٥٩هـ ، وسجن تسعة أشهر ، فحلف أن لا يلى القضاء بعدها . والثانية مكرهاً سنة ٢٦٧ - ٢٧٥هـ . وأنكر على إبراهيم بن الأغلب بعض سيرته ، فعزل وسجن ، ومات في السجن سنة ٢٧٦هـ . له تاليف ، منها «الأمالي» ثلاثة أجزاء ، و«الرد على من خالف مالكاً» . انظر الاعلام للزركلي ، ٤ / ٦٥ ، وكذا رياض النفوس ، ١ / ٣٧٥ ، ومعالم الإيمان ، ٢ / ١٠٥ - ١١٥ .

(٢) ليست في الأصل .

موضوع الرسالة

فهمنا ما ذكرت يا ابا محمد ، اكرمك الله ، ما ذكر لك الإباضية (١) فى شان مسائلهم التى سالوك وسالتنا أنت ، اعانك الله أن نجيبهم عليها ، وزدت أيضاً فيها شرحاً لم يدخل فى سؤالهم فقريت ذلك ، ليتسع لك الجواب ، وتستفيد ما يصل بك من جوابنا (٢) فى ذلك ، إن شاء الله .

طلب الإباضية الاستشهاد باللغة فقط ،

وذكرت أن الإباضية طلبوا أن يكون الاحتجاج والدليل ، فى جواب مسائلهم ، من اللغة العربية ، ومن أشعار العرب الاوائل الجياد المعروفة المستشهدة ، لا من غير ذلك ، وزعمت أنهم أرادوا بذلك امتحان أهل الحق ؛ ولأن يعرفوا ويخبروا ما عندنا من المعرفة بلغة العرب وأشعارها وتعنتوك ، فى ذلك كل ما ذكرت .

ولم يحبوا ، زعموا ، أن يكون جوابنا من استشهاد القرآن بعضه على بعض ، وأنهم مكتفون بما عندهم من إسلامهم ومشايخهم وأنهم أرادوا ما أعجزهم ، وإنما أرادوا خارج الجوابات ودلائلها من اللغة العربية ، وأشعار العرب المتقدمة ؛ ولأنهم قد بلغهم فى الروايات أن عبد الله العباس (٣) ، رحمة الله عليه ، قال : إذا أشكل عليكم شئ من القرآن فاطلبوه فى أشعار العرب ، واحتجوا فى طلبهم التفسير باللغة ، بقول الله ، عز وجل ، : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (١٩٥) ، وقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا

(١) الإباضية : فرقة من الخوارج ، اصحاب عبد الله بن إباض ، قالوا إن مخالفهم من أهل القبلة كفار ، ولكنهم ليسوا مشركين ، وغنيمة أموالهم حلال عند الحرب دون غيره ، ودارهم دار توحيد إلا معسكر سلطانهم فإنه دار بغي . وقالوا تقبل شهادة مخالفهم عليهم ، ومرتكب الكبيرة موحد غير مؤمن ، لان الأعمال داخله فى الإيمان ، والاستطاعة قبل الفعل ، وفعل العبد مخلوق لله ، تعالى ، ومعنى العالم كله بفناء أهل التكليف ، ومرتكب الكبيرة كافر نعمة لا كافر ملة ، وافترقوا فرقاً أربعة : الحفصية ، واليزيدية ، والحارثية ، والعبادية . راجع الملل والنحل ، ١ / ١٥٦ - والفرق بين الفرق ، ص ١٠٣ - والتبصير ، ص ٣٤ .

(٢) لعل الصواب : وتستفيد بما يصلك من جوابنا .

(٣) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي ، أبو العباس : حبر الأمة ، الصحابي الجليل ، ولد بمكة سنة ٣ ق.هـ ، ونشأ فى بدأ عصر النبوة فلزم رسول الله ، ﷺ ، وروى عنه الاحاديث الصحيحة ، وشهد مع علي ، رضى الله عنه ، الجمل وصفين . لقب بترجمان القرآن ، وكان أعلم الصحابة بالتفسير والتاويل والفقه واللغة ، وله تفسير ينسب إليه . وروى عن رسول الله أكثر من ١٦٦٠ حديثاً وتوفى سنة ٦٨ هـ . فنظر ترجمته فى الاعلام للزركللى ، وكذلك صفة الصفوة لابن الجوزى ، ١ / ٣١٤ ، وحلية الاولياء لابي نعم ، ١ / ٣١٤ .

(٤) سورة الشعراء : الآية ١٩٥ .

بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴿١﴾ وبقوله : ﴿ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (١٠٢) ﴿٢﴾ .

١٥٢ ظ / ونحن نريد أن نستفيد من حيث ذكر الله ، سبحانه ، ولا نريد الجواب فيه إلا / من اللغة والشعر القديم العربي .

حقيقة ومغزى سؤال الإباضية :

واعلم ، يا أبا محمد ، حفظك الله ، أن هؤلاء القوم إنما أرادوا بذلك تعينتنا ، وأن يدروا ما عندنا من المعرفة باللغة ، والذي نذهب إليه ونحبه في التفسير في أن تكون الحجة منا في التفسير (٣) بشواهد من كتاب الله ، عز وجل ، على كتاب الله ولا بداع ذلك من الاستشهاد باللغة والشعر ، ونحن بحول الله وقوته ، نجيبك في ذلك بجواب ما سألوا من اللغة والشعر نتوخي (٤) فيه صواباً ، ونرجوا من الله سداداً ، ولا بد لنا في ذلك من شواهد الكتاب مما لا بد منه ولا يستغنى عنه ، مما يبين الله ، سبحانه ، به الحق ويزهق به الباطل ، ويرغم به أنف المخالفين ، بحوله وقوته .

وإن كنتُ ، في وقتي هذا ، من الغم والهم بفراق الإمام ، صلوات الله عليه (٥) ، فيما أقل منه أذهل العقل وشغل القلب ، غير أنني أرجو من الله ، سبحانه ، العون والتسديد ، لما يحبه من الرشاد وإرغام الظالمين من أهل العناد ، والتمادى في الباطل والفساد ، وقد أجبناك ، آمم الله نعمك ، في كل ما سألوا عنه من اللغة والشعر ، فافهمه وقف عليه ، ثم انفضه إليهم ، بحول الله وقوته .

(١) سورة إبراهيم : آية ٤ .

(٢) سورة النحل : الآية ١٠٣ .

(٣) في الأصل : التفسير .

(٤) في الأصل نتوحا ، ومعناه : نحرص على تحرى الحق واتباعه .

(٥) وهذا يعني أن كتاب النجاة وهذه الرسالة ورسالة الرد على وسوسة إبليس قد ألفت جميعاً بين سنة ٢٩٨ هـ ، وهي السنة التي توفى فيها الإمام يحيى بن الحسين والد الإمام أحمد سنة ٢٩٩ هـ ، وكان عمره وقتئذ لم يوف العشرين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ - تسألنا أنت عن كتاب الله ، وعن قول الله ، سبحانه ، ﴿ وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِيَةٍ غَصْبًا ﴾ (٧٩) ^(١) ، وقلت : فما عليهم والملك قد صار ورائهم ونجوا منه ، وإنما كان الخوف يقع عليهم ، لو كان الملك قدامهم ١٤ ..

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : هذا من أضداد الكلام الجائز ^(٢) في لغة العرب ، وذلك أن العرب تسمى القدام وراء ، ومن ذلك قول الله ، عز وجل ، ﴿ وَمِنْ وِرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ (١٧) ^(٣) ، يقول بين يديه ، ولو كان العذاب ورائهم ، كما ظننت ، لكانوا ^(٤) قد سلموا منه ، والعرب تكلم بهذا فتكثر ، قال لبيد بن ربيعة الكلابي ^(٥) .

أليس ورائي إن تراخت منيتي لزوم العصا تحنى عليها الأصابع ^(٦)

١٥٣ و / يريد اليس بين / يدي الهرم والضعف والكبر ، فصيرته وراءه وهو بين يديه ^(٧) .

(١) سورة الكهف : الآية ٧٩ .

(٢) انظر ابن السكيت : الأضداد ، ١ ، ٥٦ - ٥٧ .

(٣) سورة إبراهيم : الآية ١٧ .

(٤) في الأصل : لكانوا .

(٥) لبيد بن ربيعة بن مالك ، أبو عقيل العامري : أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية . من أهل عالية نجد . أدرك الإسلام ، ووفد على النبي ﷺ ، وبعد من الصحابة ، ومن المؤلفات لولدهم . وترك الشعر ، ولم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً ، قيل : هو « ما عاتب المرء الكرم كنفسه .. والمرء يصلحه المجلس الصالح » . وسكن الكوفة ، وعاش عمراً طويلاً . وهو أحد أصحاب الملققات ، ومطلع قصيدته : « عفت الديار محلها لمقامها .. مجنى ، تأهد غولها فرجامها » .

وكان كريماً : نذر إن لا تهب الصبا إلا نحر وأطعم ، جمع بعض شعره في « ديوان - طه صغير ، وترجم إلى الألمانية . انظر الزركلي : الاعلام ، ٥٤ / ٢٤٠ ، وكذلك البغدادي : خزائن الأدب ، ١ / ٣٣٧ - ٣٣٦ ثم ٤ / ١٧١ - ١٧٦ ، ومطالع البدور ، ١ / ٥٢ ، وسمط اللآلي ، ١٣ ، وحسن الصحابة ، ص ٣٥٠ ، وآداب اللغة ، ١ / ١١١ ، وجمهرة أشعار العرب ، ٣٠ و ٦٣ .

(٦) البيت : الأغاني ١٤ / ٩٥ - ٩٦ ، والشعر والشعراء ١ / ٢٧٩ ، ولسان العرب ١٥ / ٣٩٠ . والبيت من بحر الطويل .

(٧) انظر السجستاني : الأضداد ، ص ٥٦ - ٥٧ ، طبعة بيروت ١٩١٣ م .

لَمَّ عَابِ الْخَضِرِ السَّفِينَةَ ؟

٢ - وسألت فقلت : وما يدخل على المساكين من عيب السفينة ١٩ . .

قال : أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : إن الملك كان يأخذ كل سفينة جيدة لها قدر ، فأراد العبد الصالح ، عليه السلام ، أن يصيبها حتى لا يرغب فيها الملك ، فإذا جاوزه أصلحها (١) .

فَخَشِينَا بِمَعْنَى فَكْرَهْنَا ،

٣ - وسألت عن معنى قوله : ﴿ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ (٨) ﴿ (٢) .

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام ، فخشينا ها هنا يخرج على «فكرهنا» (٣) لأن الله ، عز وجل ، لا يخشى (٤) .

جَوَّازُ تَسْمِيَةِ الصَّنَمِ إِلَهًا عَلَى سَبِيلِ السَّغَرِيَّةِ وَالتَّهْكِيمِ ،

٤ - وسألت عن قوله ، عز وجل : ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾ (٥) ،

فقلت : كيف جاز أن يسميه إلها ، وليس هو بإله ١٩ . .

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : المعنى فى ذلك على التوقيف والتقرير والتوبيخ ، يقول : إنه إلهك - زعمت - عند نفسك ، مثل قوله فى موضع آخر : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ (٤٩) ﴿ (٦) ، يريد به التوقيف والتوبيخ (٧) .

قال قيس بن زهير العبسى (٨) ،

قال البقية يا قيس فقلت له اصبر حذيف فانت السيد الصمد (٩)

(١) انظر تفسير ابن كثير ، ٣ / ١٠٩ ، ١١٠ .

(٢) سورة الكهف : الآية ٨٠ .

(٣) قال أبو حيان النحوى : «وفى قراءة أبى - بمقصد أبى بن كعب - : ﴿ فخاف ربك ﴾ ، والمعنى : فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الأمر فغيره . كذلك قرأ بها عبد الله بن مسعود . البحر المحيط ، ٦ / ١٥٥ طبع مكتبة السعادة ١٣٢٨ هـ .

(٤) فى الاصل : لا يحشا .

(٥) سورة طه : آية ٩٧ .

(٦) سورة الدخان : آية ٤٩ .

(٧) راجع تفسير الطبرى ، ٢٥٠ / ٨٠ .

(٨) قيس بن زهير بن جديمة بن رواحة العبسى : أمير عبسى ، ودايمتها ، واحد السادة والقادة فى حرب العراق . كان =

فقال هذا القول ، وهو يقتله ويسميه صمداً ، أى إنك السيد الصمد ، بزعمك .
والصمد فى اللغة فهو المقصود المعتمد (١) .

خلق من عجل مجازاً ،

٥ - وسالت عن قول ، عز وجل ، : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ (٢) ، فقلت : كيف
من عجل ، والعجل هو منه ؟! ..

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : إن أهل اللغة يقولون : إن مجاز ذلك ، مثل
قولهم : عرضت الدابة على الماء ، يعنى الماء على الدابة ، ومثل قولهم ، عرض المعلم
على الصبى ، أى استعرضه المعلم (٣) .

وقولهم : إذ لقيك الجبل ، فخذ يمينك ، تعنى عن يمينك .

وفى القرآن : ﴿ مَا إِنْ مَفَاتِحَهُ تَتَوَّأُ بِالْعُصْبَةِ ﴾ (٤) ، والعصبة هى التى تنوء بالمفاتيح (٥)

راضية يعنى مرضية ،

٦ - وسالت عن قول الله ، سبحانه : ﴿ .. فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ (٦) فقلت : كيف
تكون العيشة راضية وكان ينبغى أن تكن مرضية (٧) ؟! ..

= - بلقب بقيس الرأى ، لجودة رايه ، ويكنى أبا هند ، وهو معدود فى الامراء والدهاة والشجعان والخطباء والشعراء . وورث
الإمارة عن ابيه ، واشتهرت وقائمه فى حروبه مع بنى فزارة وذبيان ، وحكمته فى ماثور كلامه مستفيضة ، وخطبه
غير قليلة ، وشعره جيد فحل . زهد فى أواخر عمره ، فرحل إلى عمان . وعف عن الماكل حتى أكل الحنظل . وما زال
فى عمان إلى ان مات ، ويضرب بهامته المثل . انظر ترجمته فى الاعلام للزركلى ٢٠٦/٥١ ، وكذلك خزنة الادب
للبيهدادى ، ٥٣٦/٣ .

(٩) انظر سمط اللآلى ، ص ٥٨٢ و ٨٢٣ ، وشرح العيون ، ص ٩٦ .

(١) انظر المعجم الوسيط ج ١ / ٢٥٢ ، مادة : «صَمَدٌ» .

(٢) سورة الانبياء : الآية ٣٧ .

(٣) انظر المرتضى فى الامالى حيث يقول : «وثانيهما ما اجاب به أبو عبيدة وقطرب بن المستنير وغيرهما ، من أن فى
الكلام قلباً ، والمعنى : خلق العجل من الإنسان .. ١١٥/٢٤٠٠ طبع مكتبة السعادة سنة ١٣٢٥ هـ .

(٤) سورة القصص : الآية ٧٦ .

(٥) انظر ابا عبيدة : مجاز القرآن ، ١ / ٦٣ .

(٦) سورة الحاقة : الآية ٢١ . وانظر الزمخشري : الكشاف ، ٤ / ٦٠٣ .

(٧) وهو معروف عند العرب بذكر اسم الفاعل وهو بقصد اسم المفعول ، والعكس صحيح . انظر تفصيل ذلك لابن فارس
فى كتابه الصحاح ، ص ١٨٧ ، طبع المكتبة السلفية .

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : إن هذا جائز فى لغة العرب ، مثل قولهم
للناقة : راحلة وهى مرحولة ، ومثل قولهم : رجال حالقة رؤسهما ، قال الشاعر :

يفلق عندها ذى الورد منهم رؤساً بين حالقةٍ ووفّر
١٥٣ظ / يعنى : محلوقة ووافرة .

وقالت أم فاشر تخطئ رأية ، فى قتل رجل قتله من العرب ، بعد إحسانه إليها :

قتلت رئيس الناس بعد أخى الندى كليب ولم تشكر وإنى لشاكرة
لقد عيل الأيتام طعنة ماشر لا زالت يمينك آشره (١)

تعنى مؤشورة بالميشار ، وهذا كثير موجود فى كلام العرب ، فاعلم ذلك ، إن شاء
الله .

من الخلق من يجور :

٧ - وسالت عن قول الله ، عز وجل ، ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾ (٢) ،
فقلت : كيف يكون من سبيل الله شئ جائر ؟

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : سألتنى (٣) وأنا حدث فى حياة الهادى إلى
الحق ، عليه السلام ، فأجبتك بما أنا مجيبك به الآن ، إن كنت قد نسيت الجواب
الأول ، فافهمه إن شاء الله .

قال ، عليه السلام ، إن سبيل الله ، جل ثناؤه ، ليست بجائرة ولا منها شئ جائر ،
وإنما عنى الله ، تبارك وتعالى ، أن من الخلق من يجور عنها بظلمهم واختيارهم ،
فالجور منهم هم عن سبيل الله ، عز وجل ، ولم يجعل ، تبارك وتعالى ، شيئاً من سبيله
جائراً ولا غامضاً (٤) .

(١) البيت فى اللسان ٥ / ٢٠٩ ط دار صادر بيروت ، مادة (نشر) .

(٢) سورة النحل : الآية ٩ .

(٣) بالهامش : اظنه قد كتب سألتنى فى حياة الهادى .

(٤) انظر تفسير الزمخشري ، ٢ / ٥٩٦ ، وراجع التعليق الفاسد للمجبر أحمد بن المنير الأسكندرى الذى يرى فيه أن
الجور والكفر والإضلال من الله لبعض عباده . . . ولا أدرى أين يجد ذلك فى كتاب الله ، الذى انزله هداية ورحمة . . .
ولله فى خلقه شؤون .

كيف يصرفهم عن آياته ،

٨ - وسالت عن قوله ، عز وجل ، ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (١) ، فقلت : إذا صرف الناس عن آياته ، فما حيلتهم في ذلك ١٢ ..

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليه : إن الامر ليس على ما ذهبت إليه ، وإنما المعنى في ذلك أنه ، عز وجل ، أنه يصرف (عن) (٢) آياته الاعداء والمعاندين والمفسدين ، حتى لا يكيدوها بكيد ولا يقدروا لها على فساد ، بقوله ، عز وجل ، ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٣) .

يطير بجناحيه ، تأكيداً ،

٩ - وسالت عن قول الله ، سبحانه ، ﴿ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ (٤) ، وقلت : إن الطيران لا يكون إلا بجناحين ، وإن العرب تستغنى بذكر الطائر ، وتكتفى باسمه ، عن ذكر جناحين فما معنى ذلك ١٢ ..

قال أحمد بن يحيى : هذا تأكيد للكلام ، وهذا موجود في لغة العرب (٥) ، يقول الرجل لصاحبه : قد جيئتك بنفسى ، ومشيت إليك برجلي ، وكلمتك بلسانى ، ونظرت إليك بعينى ، وسمعتك باذنى ، وأعطيتك بىدى ، وكل هذا كان يجرى فيه كلمة واحدة ، لو قال : جئتك .

١٥٤ و / أجزاء عن / قوله بنفسى ، ولو قال : مشيت إليك ، أجزاء عن قوله : برجلي ، ولو قال : كلمتك ، أجزاء عن قوله : بلسانى ، وكذلك سائر الكلام على هذا المثل . فافهمه إن شاء الله .

وقال الله ، عز وجل ، : ﴿ لَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتَ مِنْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ (٦) ، وقد علموا أن ثلاثة وسبعة عشرة .

(١) سورة الاعراف : الآية ١٤٦ . وانظر تفسير الزمخشري ، ٢ / ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٢) زبارة ليست في الأصل .

(٣) سورة فصلت : الآية ٤٢ .

(٤) سورة الانعام : الآية ٣٨ .

(٥) أى أن هذا من باب الزيادة في التوكيد وهو مشهور ومعروف في لغة العرب ، انظر ابن قتيبة : تاويل مشكل القرآن ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ .

(٦) سورة البقرة : الآية ١٩٦ . وانظر تفسير الزمخشري ، ١ / ٢٤١ - ٢٤٢ .

أسلوب الالتفات والتبوع في الضمائر :

١٠ - وسألت عن قوله ، عز وجل : ﴿ اَلَمْ يَكُنْ لَكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ .. ﴾ (١) ، فقلت : ما معنى قوله : « ذلك الكتاب » ، كأنه يشير إلى كتاب غائب ، لم قال : ذلك الكتاب ؟ ..

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليه : إنما عنى ، تبارك وتعالى ، هذا الكتاب ، ولم يشير إلى كتاب غائب ، وذلك مثله موجود فى لغة العرب ؛ ألم تسمع إلى قول الشاعر .

أقول والرمح بأطر متنه تأمل خفافاً إنسى أنا ذلك (٢)

فقال : « إنى » ، فأشار إلى نفسه ، ثم قال : « ذلك » ، يعنى نفسه أيضاً ، فجاز ذلك ، إذا كان القول لاعيب فيه عند العرب المخاطبين .

أخوة النسب لا العقيلة :

١١ - وسألت عن قول الله ، سبحانه ، : ﴿ أَخُوهُمْ نُوحٌ ﴾ (٣) ، فقالت : كيف جاز أن يكون أخاً وهم كفار ؟ .. وقد قال الله ، عز وجل : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (٤) ، وليس الكفار إخوة للمؤمنين ؟ ..

قال أحمد بن يحيى ، عليه السلام : إنما تلك تخرج على أنه أخوهم فى النسب لا على أنه أخوهم فى الديانة (٥) . فافهمه إن شاء الله .

معنى فأصبح فارغاً :

١٢ - وسألت عن قوله ، عز وجل ، : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ﴾ (٦) ، فقلت : ما معنى ذلك ؟ ..

(١) سورة البقرة: الآية ١ - ٢ وانظر تفسير الزمخشري ، ١ / ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) البيت : لخفاف بن نديبة فى ديوانه ٦٥ ، وكذا فى الاشتقاق ٣٠٩ ، والشعر والشعراء ، ٩ ، ٢ ، والخصائص ٢٥٩ ، والخزانة ، وابن دريد ٢ / ١٠٨٨ ، وهو من بحر الطويل .

(٣) سورة الشعراء : الآية ١٠٦ .

(٤) قال الزمخشري : « قبل أخوهم ؛ لأنه كان منهم ، قول العرب : يا أخا بنى قمم ، يريدون : يا واحداً منهم . ومنه بيت الحماسة : « لا يسألون أخاهم حين يندبهم فى النابتات على ما قال برهانا ، ٣ / ٣٢٣ .

(٦) سورة القصص : الآية ١٠ .

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليه : فى هذه المسألة قولان (١) :

١- أما أحدهما : فإنه يقول : فارغاً من كل شئ إلا من ذكر موسى ، عليه السلام .

٢- والقول الآخر : فإنه قال : فارغاً من كل شئ إلا من العهد الذى عهد الله ، عز وجل ، إليها ، والوعد الذى وعدها إياه من قوله : ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٧) ﴿٢﴾ .

تفسير معنى تعذيب الكفار بالنعم ،

١٣ - وسألت عن قول الله ، عز وجل ، : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٥٥) ﴿٣﴾ ، فقلت : فقد (نراه) (٤) يخرج من دار الدنيا وهو معاند لله ، عز وجل ، لم تنكبه ، ولم يعذب بعداب ، له ١٥٤ ظ / المال / الكثير والاولاد الكثير ١؟ ..

قال أحمد بن يحيى ، عليه السلام : هذا كلام يخرج على التقديم والتأخير (٥) .

فافهمه . كان قال : ولا تجيبك أموالهم ولا اولادهم فى الحياة الدنيا ، إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة ، فقدم وأخر ، والتقديم والتأخير موجود فى لغة العرب . قال أوس بن حجر (٦) .

(١) قارن ما ذكره الإمام أحمد بما ذكره القشيري فى تفسيره الإشارات ، ٣ / ٥٥ - ٥٦ .

(٢) سورة القصص : الآية ٧ .

(٣) سورة التوبة : الآية ٥٥ .

(٤) زيادة من الهامش .

(٥) انظر ابن قتيبة : تاويل مشكل الحديث حيث يقول : «وس المقدم والمؤخر ذكر الآية .. ثم قال : وقال «ابن عباس» فى رواية الكلبي : اراد : ولا تعجبك أموالهم واولادهم فى الدنيا ، إنما يريد الله أن يعذبهم بها فى الآخرة» . ص ٢٠٨ ، وفى تفسير «تنوير المقباس» لأبى طاهر الفيروز ابادى : «فى الحياة الدنيا وهم كافرون مقدم ومؤخر» . ص ١٦٠ طبعة الانوار المحمدية .

(٦) أوس بن حجر بن مالك التميمي ، أبو شريح : شاعر فقيم فى الجاهلية ولد سنة ٩٨ قبل الهجرة ، أو من كبار شعرائها ، تزوج أم زهير بن أبى سلمى ، وكثرت أسفاره وأقام زمناً عند عمرو بن هند فى الحيرة ، وعاش طويلاً ، ولم يدرك الإسلام ، من خصائص شعره الحكمة والرقة ، وتفزل فى النساء ، وقدمه الأصمعي على زهير ، ونقده الناهض ، له ديوان شعر مشهور ، وتوفى سنة ٢ ق هـ . انظر ترجمته فى الاعلام للزركلنى ، ٢ / ٣١ ، وكذلك البغدادي فى خزنة الادب ، ٢ / ٢٣٥ ، والجمحي فى كتابه طبقات فحول الشعراء ، ص ٨١ ، والديوان دار صادر بيروت .

أما حصاناً فلم تضربْ بكليها قد طفتُ فى كل هذا الناس أحوالى

على امرئٍ سوقه قبلى ولا ملك أئدى وأكمل منه أى إكمال (١)

يريد فلم تضرب لكليها على امرئ سوقه ، فقطع بين الكلام بنصف بيت للتقديم والتأخير وقال الأخطل التغلبى (٢) :

إن الفرزدق صخرة عادية طالت فليس تنالها الأوعالا (٣)

يريد الصخرة طالت ، فليس الأوعال تنالها .

وقال ذو الرمة (٤) :

كان أصوات من إيفالهن أواخر الميسر انقاض الفرائج (٥)

وإنما أراد كأنما أصوات الميسر ، فقدم وأخر . فافهم هذا الباب إن شاء الله .

التفات من المخاطب للغائب :

١٤ - وسالت عن قول الله : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَبِيَّةٍ ﴾ (٦) ،

فقلت : كيف جاز أن يقول : كنتم ثم قال بعدها : هم .

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله (عليهما) (٧) : ذلك جائز فى لغة العرب

معروف خطابها وأشعارها (٨) ، قال أبو كبير (٩) الهذلى (١٠) يرثى رجلاً :

(١) البيتان من شعر أوس بن حجر ، انظر ديوانه ، ص ١٠٢ - دار صاد بيروت .

(٢) غياث بن غوث بن الصلت بن عمرو ، من بنى تغلب ولد سنة ١٩ ، وكنى بأبى مالك ، اتسم شعره بالحسن والإبداع واشتهر فى عهد بنى أمية فمدحهم ، وتهجى مع جرير والفرزدق وتوفى سنة ٩٠ هـ ، وله ديوان شعر مطبوع . انظر ترجمته فى الاعلام ٥ / ١٢٣ ، وكذلك الاغانى ٨ / ٢٨٠ .

(٣) البيت ، ليس فى الديوان ، ولعلها سقطت منه فى فخره للفرزدق ، ص ٥٣٧ .

(٤) غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوى ، من مضر ، أبو الحارث ، ذو الرمة : شعر من فحول الطبقة الثانية فى عصره ولد سنة ٧٧ ، قال عمرو بن العلاء : فتح الشعر بامرئ القيس وختم بلدى الرمة ، احب مية وقال فيها شعراً ، وله ديوان شعر ضخيم ، طبع .. توفى ذو الرمة . انظر ترجمته فى الاعلام ٥ / ١٢٤ ، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام الجهمى ، ص ١٢٥ ، وغيرها من كتب التراجم .

(٥) البيت : لم أجده ولعلها جزء من قصيدة قد سقط .. سيما وإن هذه القافية بديوانه .

(٦) سورة يونس : الآية ٢٢ .

(٧) زيادة ليست فى الاصل .

(٨) وهو أسلوب الالتفات عند العرب ، وهو جائز وقد جاء فى اشعارهم بكثرة ، من ذلك صدر معلقة امرئ القيس ..

واستهلال النابغة : «يا دارمية بالعلاء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأهد»

=

انظر ابن فارسى : الصحابى ، ص ٣٥٦ ، وديوان النابغة ، ٢٣ .

ياويح نفسى صار جدّة خالدٍ وبياضُ وجهك للترابِ الأَعْفَرِ (١)

ولم يقل : وبياض وجه خالد فى أول كلامه ، كانه يخاطب غيره .

وفى آخر كلامه كانه يخاطبه هو دون غيره ، فاعلم ذلك ، إن شاء الله .

موسى كان يدعو وهارون يؤمن :

١٥ - وسالت عن قوله ، عز وجل ، : ﴿ قَدْ أُجِيتَ دُعُوتُكُمَا ﴾ (٢) ، وقلت : إنما كان

الداعى موسى ، عليه السلام ، وحده .. فصار الخطاب لاثنين ١٤ ..

قال أحمد بن يحيى ، عليه السلام : قد بلغنا أن موسى ، صلى الله عليه ، كان

يدعو وهارون ، عليه السلام ، كان يؤمن على دعاء موسى ، فلذلك صارت الدعوة

لكليهما (٣) ، صلوات الله عليهما .

معنى ﴿ فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَخْسِيرِ ﴾ (٦٦) :

١٦ - وسالت عن قوله ، عز وجل ، : ﴿ فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَخْسِيرِ ﴾ (٦٦) (٤) .

١٥٥ و / قال أحمد بن يحيى ، عليه السلام : إنما المعنى فى ذلك : / إنه يقول : فما

تزيدوننى غير تخسير لكم ، وغير تضليل لكم ، وسوء قول فيكم (٥) .

بنو آدم لا يعجزونه تعالى :

١٧ - وسالت عن قول الله ، عز وجل ، : ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي

السَّمَاءِ ﴾ (٦) ، وبنو آدم لا يكونون فى السماء .. ١١

(٩) فى الاصل : طهر .

(١٠) عامر بن الحليس الهذلى ، ابو كبير ، من بنى سهل بن هذيل : شاعر فحل من شعراء الحماسة . قيل : ادرك الإسلام ،

واسلم ، وله خبر مع النبى ، ﷺ له ٥٥٥ ديوان شعر - ط ٥ .. انظر الزركلى : الاعلام ، ٣ / ٢٥٠ ، وكذلك البغدادى :

خزانة الادب ، ٣ / ٤٧٣ ، وسمط اللآلى ، ص ٣٨٧ ، والشعر والشعراء ، ص ٢٥٧ .

(١) البيت فى ديوان الهذليين ، ص ١٠١ من القسم الثانى ، وفيه : « بالهف نفسى ٥٠٠ ، وفى تفسير الطبرى ١ / ٥٢ ،

وفى البيت « كان ٥ بدلاً من صار ، وهو من بحر الكامل .

(٢) سورة يونس : الآية ٨٩ .

(٣) للقسيرى فى هذه الآية تفسير رائع انظره فى اللطائف ، ٢ / ١١٣ ، وقال الزمخشري (.. كان موسى يدعو وهارون

يؤمن) ٢ / ٣٦٦ . وكذلك فى تفسير ابن كثير ٢٤ / ٤٧٠ .

(٤) سورة هود : الآية ٦٣ .

(٥) قال ابن كثير : اى غير خسارة ، ٢ / ٤٩٤ وقال الزمخشري : يعنى تخسرون اعمالى وتبطلونها ، او فما تزيدوننى مما

تقولون لى وتحملوننى عليه غير ان اخسرکم ، اى انسبكم إلى الحسران واقول لكم : إنكم خاسرون ، ٢ / ٤٠٨ .

(٦) سورة العنكبوت : الآية ٢٢ .

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : إنما يعنى بقوله ولا فى السماء ، أى : ولو كنتم فى السماء ، ما أعجزتم (١) .

بمعنى أيقن ،

١٨ - وسألت عن قول الله ، عز وجل ، : ﴿ أَلَمْ يَأْسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (٢) ، قلت : ما معنى يئس ها هنا ؟ ..

قال أحمد بن يحيى ، عليه السلام : يقول ألم توقنوا ، وذلك جائز فى لغة العرب (٣) ، لأنها تقلب أشياء فى كلامها وتصرفها إلى ضدها من الكلام .

قال الشاعر :

ألم يئس الأرقام أنى أنا ابنه وإن كنت عن أرض العشييرة نائيا (٤)

وقال حريث بن جابر وكان من رجال أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه ، بصفين .

أقول لهم بالشعب إن ياسرونى ألم تياسوا أنى حريث بن جابر
يرد ألم توقنوا (٥) .

(١) بقول الزمخشري : « وما انتم بمعجزين ، ربكم ، أى لا تفوتونه إن هربتم من حكمه وقضائه « فى الأرض » الفسيحة « ولا فى السماء » التى هى أفسح منها وأبط لو كنتم فيها ، كقوله تعالى : ﴿ إِنْ امْتِطَعْتُمْ أَنْ تَسْلُدُوا مِنْ أَفْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَاَنْفَعُوا ﴾ سورة الرحمن / ٣٣ ، وقيل : ولا من فى السماء ، كما قال حسان ، رضى الله عنه :

أمن يهجر رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

ويحتمل أن يراد : لا تعجزونه كيفما هبطتم فى مهاوى الأرض وأعماقها ، أو علوتم فى البروج والقلاع الزاهية فى السماء ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ ﴾ سورة النساء / ٧٨ أو لا تعجزون أمره الجارى فى السماء والأرض إن يجرى عليكم ، فيصيبكم ببلاء يظهر من الأرض أو ينزل من السماء . انتهى / ٣٤ / ٤٤٩ .

(٢) سورة الرعد : الآية ٣١ .

(٣) ذكر ابن قتيبة فى توابل مشكل القرآن تحت عنوان : « ومن ذلك أن يسمى المتضادان باسم واحد ، والاصل واحد » ص ١٨٦ ، وقال « يست » بمعنى : « علمت » وذكر الآية .. ثم قال : لأن فى علمك الشئ وتيقنك له بأسك من غيره ، ص ١٩٢ .. وبهامشه أن بعض العلماء أقر هذا التوابل كآبى عبدة وابن منظور وابن الأنبارى وقطرب ، ومنهم من قال : إنه بمعنى اليأس نفسه كالكسائى .. انظر اللسان ، ٨ / ١٤٧ ، وأبا عبدة مجاز القرآن / ٢٤ / ٣٣٢ .

(٤) انظر اللسان / ١٧٤ / ٤ .

(٥) انظر تفسير الطبرى ، ١٣ / ١٠٣ .

١٩ - وسألت عن الحجة أن الاستطاعة قبل الفعل لامعه ، وطلبت فيه ، زعمت ، حجة واضحة تستغنى بها ، وتقطع الخصوم ، إن شاء الله .

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما : الدليل على أن الاستطاعة قبل الفعل ، قول الله تبارك وتعالى : ﴿ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَفِيعُ أَنْ يُمَلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيَّهُ بِالْقَدْلِ ﴾ (٢) ، فآخبر ، عز وجل ، أن وليه قد يستطيع الإملاء ، والإملاء لم يوجد بعد ، ولو كان المولى لا يستطيع ، كما هذا الآخر لا يستطيع ، لم يكن للآية معنى ، ولكان تاويله إن لم يستطيع أن يمل هو ، فليملل وليه الذى لا يستطيع أيضاً . والله ، عز وجل ، متعال مقدس عن قول هذا ، ومخرجه وسبيله .

ومن الدليل على ذلك أيضاً أنه لو كان الأمر على ما ذكر القوم المخالفون لنا ، أن الاستطاعة مع الفعل ، تحدث فى حال الفعل ، لكان الكافر لا يؤمن به أبداً حتى تاتيه استطاعة الإيمان ، وكانت الاستطاعة لا تاتيه أبداً وهو كافر .

ولو كان هكذا ، ما جاز أن يؤمن كافر بوجه من الوجوه ، ألا ترى أن رجلاً لو كان فى جوف بئر فقيل له : إنك لا تخرج من هذه البئر أبداً حتى تؤتى بحبل ، ولن تؤتى بحبل ما دمت فى البئر ، لما جاز أن يخرج هذا الرجل من تلك البئر أبداً ، على هذا الشرط بوجه من الوجوه .

١١٥ / كذا فى الكافر لا يؤمن أبداً حتى يؤتى باستطاعة الإيمان وهو كافر؛ لأن الكافر لا يستوجب من الله ، عز وجل ، المادة ولا المعونة ولا لطائف الصنع ، وإنما على الرسل والأئمة ، عليهم السلام ، الدعاء إلى الله ، عز وجل ، وعلى الخلق أن

(١) الاستطاعة والطاقة والقدرة والقوة بمعنى واحد انظر الماتريدى : التوحيد ١ ص ٢٥٦ ، والقاضى عبد الجبار : شرح الاصول الخمسة ١ ص ٣٩٣ . وفى كون الاستطاعة قبل الفعل ، انظر شرح الاصول ١٠٠ ص ٣٩٠ ، والحياط ، ص ٦١ ، ٦٢ ، والقاسم بن محمد : الأساس لعقائد الاكياس ، ص ١٠٥ وانظر رأى المجهرة والأشاعرة فى كونها مع الفعل ، الاشعري : الإبانة ، ص ١٨١ ، ٢٢٤ ، والجوينى : الإرشاد ، ص ٢١٥ - ٢٢٩ ، والنسفى تبصرة الأدلة ، ٢ / ٥٩١ - ٦٤٤ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٨٢ .

يجيبوهم ؛ لان معهم الاستطاعة على ذلك . والكلام فى هذا كثير^(١) ، وفيما ذكرت لك كفاية بحول الله ومعونته .

الصلاة بمعنى الدعاء :

٢٠- سألت عن قول الله ، عز وجل ، لرسوله ، صلى الله عليه : ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾^(٢) فقلت : ما معنى قوله : ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ ، فقلت : فكيف يصلى النبى ، ﷺ ، ١٤ ..

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما : الصلاة فى هذا الموضع دعاء^(٣) لهم بالخير والرحمة وما أشبه ذلك ، والصلاة فى لغة العرب فهى الدعاء ، قال الأعشى البكرى^(٤) :

تقول بنتى وقد قرّبت مُرْتَحِلاً ياربُ جنبِ أبى الأوصابِ والوجعا
عليك مثل الذى صليتِ ، فاعتصمى يوماً فإن جنبِ المرءِ مضطجعاً^(٥)
يقول : عليك مثل الذى دعوت لى به ، وهذا غير منكر فى لغة العرب ، فافهم ذلك إن شاء الله .

الحس بمعنى الضرب والقتل :

٢١- وسألت عن قوله : عز وجل : ﴿ إِذْ تَحْسَوْنَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾^(٦) ، فقلت : ما الحس ها هنا ، وما معناه ؟

(١) استوفى الإمام أحمد بن يحيى هذه الرسالة فى كتابه «النجاة» من جميع جوانبها بشكل رائع غير مسبوق إليه ، وله فيه الرهادة ، انظره بتحقيقنا .

(٢) سورة التوبة : الآية ١٠٣ .

(٣) انظر فى ذلك الطبرى ، ١٥ / ٤٥١ - ٤٥٢ بتحقيق الشيخ شاكر ، والزمخشرى ، ٢ / ٣٠٧ ، وابن منظور : اللسان ، ١٩ / ١٩٨ ، ١٧ / ١٦ ، ١٥ / ١٣٣ .

(٤) ميمون بن قيس بن جندل ، من بنى قيس من ثعلبة الوائلى ، أبو بصير ، المعروف بأعشى قيس ، ويقال له : أعشى بكر بن وائل ، والأعشى الكبير : من شعراء الطبقة الأولى فى الجاهلية ، وأحد اصحاب المعلقات . كان كثير الرحلة والوفود على الملوك فى العرب والعجم ، غزير الشعر ، وعرف بانه «صناجة العرب» ، عمّر طويلاً وعمى فى أواخر ايامه ، وتوفى سنة ٧ هـ . له ديوان جمع وسمى «الصبح المنير فى شعر أبى بصير» مطبوع ، انظر ترجمته فى الاعلام ٧ / ٣٤١ ، وكذلك الاغانى ٩ / ١٠٨ ، وخزانة الادب ١ / ٨٤ - ٨٦ .

(٥) الابيات فى ديوان الأعشى ، ص ١٦٤ . (٦) سورة آل عمران : الآية ١٥٢ .

قال أحمد بن يحيى ، عليه السلام : إن الحَسَّ هو الضرب والقتل ، وهو الحَسُّ بفتحة الحاء ، والحَسُّ بخفضة الحاء ، فذلك من طريق الحس مخفوض ، وهو الذى يحس الإنسان من الشيء الذى يؤنسه ، تقول العرب : أنست صوتاً فى مكان كذا (١) ، يعنى أحسستُ وتقول العرب : أحسستُ كذا وكذا (٢) ، وكل ذلك شئ واحد ، إلا الحَس الذى عنى (٣) الله ، عز وجل ، فإنه بفتح الحاء ، وهو القتل والضرب ، الذى عنى الله ، عز وجل ، حين قال : ﴿ إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾ (٤) ، قال الشاعر :-
 تحسهم بالبيض حساً كأنه حريق لظأ فى غابة يتصرم (٥)

والغابة (٦) الأجمة والقصب .

السجود بمعنى الطاعة والخضوع :

٢٢ - وسألت عن قول الله ، عز وجل : ﴿ وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾ (٧) ، وقلت : كيف يجوز أن يكون الساجد داخلاً ، وكيف يدخل وهو ساجد ؟!

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : السجود (٨) ها هنا هو الطاعة والخضوع ، وذلك معروف فى لغة العرب ، يقول الرجل إذا رأى رجلاً يطيع ملكاً أو غيره : فلان ١٥٦ و / اليوم يسجد لفلان ، أى يطيعه / وإن لم يسجد له بوجهه (٨) ، قال الشاعر :

بجيش تفضيل البلق فى حجراته تترى الأكم فيه سجداً للحوافر (٩)

يقول : إن أكام الأرض مطيعة لحوافر الخيل .

(١) فى الاصل : كذى .

(٢) فى الاصل : او حست كذى وكذى .. انظر مادة «حس» المعجم الوسيط ، ١ / ١٧٢ .

(٣) فى الاصل : عنا وكذلك التى بعدها .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٥٢ .

(٥) هذا البيت لزهيد الخليل ، انظر الكامل ١ / ٣٥٨ ، ولسان العرب ٤ / ١٨٩ .

(٦) انظر مادة «غاب» المعجم الوسيط ، ٢ / ٦٧٢ .

(٧) سورة البقرة : الآية ٥٨ .

(٨) انظر مادة «سجد» المعجم الوسيط ، ١ / ٤١٨ ، وانظر لسان العرب ، ٤ / ١٨٩ ، ٢ / ١٤٤ .

(٩) البيت لزهيد الخليل ، الاغانى ، ١٦ / ٥٢ ، وابن فارس : الصحاح ، ص ٢٢٤ ، والاضداد لابن الانبارى ، ص ٢٥٧ ،

والنبرد : الكامل ، ١ / ٣٥٨ وروى :

بجمع تفضيل ... فى بعض المصادر .

تقوم (الباء) مقام (على) :

٢٣- وسالت عن قول الله - عز وجل - ﴿ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ ﴾ (١) ، فقلت : ما معنى هذا ، يثيبهم غمًّا بغم ؟ ..

قال أحمد بن يحيى ، عليه السلام : هذا القول يخرج على أن حروف الصفات يعقب بعضها بعضاً (٢) ؛ لان (الباء) تقوم مقام (على) (٣) ، يريد ، سبحانه : ﴿ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ ﴾ ، مثل قوله : ﴿ وَأَصْلَبِنكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ﴾ (٤) ، يريد : على جذوع النخل ، فقامت (في) مقام (على) ، وذلك جائز في لغة العرب ، قال الشاعر :

(و) هُمْ صَلَبُوا الْعَبْدِي فِي جُدْعِ نَخْلَةٍ فَلَا عَطَسَتْ شَيْبَانٌ إِلَّا بِأَجْدَعَا (٥)

ومثل ذلك قوله ، عز وجل ، : ﴿ وَمَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِقِنطَارٍ ... بِدِينَارٍ ﴾ (٦) ، وعلى دينار ، فقامت (الباء) مقام (على) ، ومثل قوله - عز وجل - : ﴿ وَنَصَرْنَاهُ مِنْ الْقَوْمِ .. ﴾ (٧) أى : على القوم ، فقامت (من) مقام (على) ، وهذا يكثر على أن نحيط به في كتابنا ، وفيما أجبناك به كفاية ، إن شاء الله .

يأمر إبليس وهو يقصد الوعيد والتهديد :

٢٤- وسالت عن قول الله ، عز وجل ، : ﴿ وَأَسْتَفِرُّوْا مِنْ أَسْفَرِكُمْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكُمْ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ .. ﴾ (٨) ، فقلت : كيف جاز أن يأمر الله ، عز وجل ، بهذه الأشياء ، وكلها له معصية لا تجوز في العدل ، وكيف يشارك الشيطان الناس في الأموال والأولاد ..

(١) سورة آل عمران : الآية ١٥٣ .

(٢) عقد ابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن) باباً سماه : باب دخول بعض حروف الصفات مكان بعض ، ص ٥٦٥-

٥٧٨ .

(٣) انظر ابن قتيبة ، ص ٥٦٧ ، وادب الكاتب له ، ص ٥٠٢ .

(٤) سورة طه : الآية ٧١ .

(٥) البيت : من بحر الطويل ، ذكره ابن منظور في اللسان ٢٦٧/٤ ونسبه لسويد بن أبي كهل ... وذكره اللبيري في

الكامل ، ٧١/٢ ولم ينسبه ، وجاء في الأصل : «هم صلبوا..»

(٦) سورة آل عمران : الآية ٧٥ . كتب الناسخ الآية خطأ .

(٧) سورة الانبياء : الآية ٧٧ .

(٨) سورة الإسراء : الآية ٦٤ .

قال أحمد بن يحيى ، رضى الله عنه : إن ذلك جائز فى اللغة العربية أن يخرج الكلام من المتهكم (١) مخرج الامر ؛ ومعناه على خلاف ذلك الذى خرج عليه ، وإنما هذا عندنا على الوعيد والتهدد (٢) ، كنعو قول الرجل : اجهد جهدك ، واحمل جهدك ، كل ذلك على الوعيد .

وقد تقول العرب للرجل : اذهب اقتل فلاناً ، أو اضربه بالسيف . على جهة الوعيد ، وهم لا يحبون قتله ولا ضربه ولا يريدون ذلك من الذى أمره به .

كقول أمير المؤمنين (٣) ، صلوات الله عليه ، لطلحة (٤) والزبير (٥) يوم عاتباه ثم ادبرا عنه : «إذها فإخرجاها» ، يعنى عائشة (٦) ، وهو لا يريد أن يخرجها من منزل

- (١) فى الاصل : المتكلم .
(٢) عقد ابن قتيبة باباً سماه : «باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه» ، ص ٢٧٥ - ٢٩٨ . ذكر فيه انواع هذه الالفاظ ، ومنها : «ان باتى الكلام على لفظ الامر وهو تهديد» : كقوله : «اعملوا ما شئتم» سورة فصلت / ٤٠ ، تأويل مشكل القرآن ، ص ٢٨٠ .
(٣) هو أمير المؤمنين على بن أبى طالب بن عبد المطلب الهاشمى القرشى ، أبو الحسن ، رابع الخلفاء الراشدين ، وابن عم رسول الله ﷺ ، ولد بمكة فى سنة ٢٣ قبل الهجرة / ٦٠٠ للميلاد ، وكان اول من اسلم من الصبيان ، ولم يسجد لعنم قط ، ورباه رسول الله ﷺ ، وزوجه ابنته السيدة فاطمة الزهراء ، رضى الله عنها ، فأولدها الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة ، رضى الله عنهما ، وكان فارساً شجاعاً ، وعالمياً مبرزاً من علماء الصحابة ، قتله ابن ملجم المرادى غيلة ، وهو يصلى بمسجده بالكوفة ، وذلك سنة ٤٠ هـ / ٦٦٦ م . . انظر ترجمته فى الاعلام للزركلى ، ٤ / ٢٦٥ و ٢٩٦ ، وكذلك صفة الصفوة لابن الجوزى ، ١ / ١١٨ ، وحلية الاولياء لابی نعيم ، ١ / ٦١ ، والإصابة ترجمة رقم ٥٦٩٠ وغيرها .
(٤) ويسمى طلحة الجلود ، وهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمى القرشى ، أبو محمد ، صحابى شجاع ، من الاجواد ، وهو أحد العشرة المبشرين ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام شهد المشاهد مع النبي ﷺ ، وأبلى فى أحد بلاء حسناً ، وكان صاحب تجارة وكفى بنى لهم من ماله ، قتل يوم الجمل وهو بجانب عائشة ودفن بالبصرة سنة ٣٦ هـ ، وله ٣٨ حديثاً ، انظر الاعلام ، ٣ / ٢٢٩ وكذلك طبقات ابن سعد ٣ / ١٥٢ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ، ٥ / ٢٠ ، وصفة الصفوة ، ١ / ١٣٠ وغيرها .
(٥) الزبير بن العوام بن خويلد الأسدى القرشى ، أبو عبد الله : الصحابى الشجاع ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأول من سل سيفه فى الإسلام ، أسلم وله ١٢ سنة ، وأبلى فى الإسلام بلاء حسناً وعده عمرو فى اهل الشورى ، وكان صاحب تجارة ، مات وعنده أربعين مليون درهم ، قتل يوم الجمل قريباً من البصرة بوادى السباع له ٣٨ حديثاً . انظر الاعلام ، ٣ / ٤٣ وكذلك تهذيب ابن عساکر وصفة الصفوة ، ١ / ١٣٢ ، وحلية الاولياء ، ١ / ٨٩ ، والبده والتاريخ ، ٥ / ٨٣ .
(٦) عائشة بنت أبى بكر الصديق عبد الله بن عثمان ، من قرهش : أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب . كانت تكتسى بام عبد الله ، تزوجها النبي ﷺ ، فى السنة الثانية بعد الهجرة ، فكانت أحب نسائه إليه ، وأكثرهن رواية للحديث عنه ، ولها خطب ومواقف ، وما كان يحدث لها أمر إلا أنشدت فيه شعراً . وكان اكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض فتجيبهم ، توفيت سنة ٥٨ هـ بالمدينة . ولها ٢٢١٠ حديثاً . انظر الزركلى : الاعلام ، ٣ / ٢٤٠ ، والإصابة ، ١٠١ ، والسمط الثمين ، ٢٩ ، ومنهاج السنة ، ٢ / ١٨٢ - ١٨٦ .

رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله ، ولا أن يخرجها تحاربه ، وهذا فى اللغة كثير معروف .

كيف يشاركهم إبليس ؟

٢٥ - وأما ما سألت عنه من مشاركته لهم فى الاموال والاولاد ، فإن ذلك ليس كشركة الآدميين ، وإنما ذلك كمنحو قول السحرة لفرعون : ﴿ فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾ (١) ، ١٥٦ ظ / أى : اصنع ما أنت صانع / كل ذلك على الوعيد ، وأما شركته فى الاموال ، فهو أن تؤخذ بغير حقها ، وأن يطاع الشيطان فيها ، فإذا فعلوا ذلك ، فقد جعلوه شريكاً لهم فى اموالهم ، وأما الاولاد فإذا نكحوا الحرام ، وولد لهم من النكاح بمال الحرام ، فقد أشركوا الشيطان فى ذلك بطاعتهم ، نصارت طاعته سبباً للشركة فى اولادهم .

هل يجوز أن يكون بعض القرآن شفاء ؟

٢٦ - وسألت عن قول الله ، عز وجل ، : ﴿ وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) ، وقلت : إن قال لنا قائل : وهل يجوز أن يكون بعضه غير شفاء ؟ ..

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليه : إن القرآن شفاء ، و [من] فى هذا الموضع قد تجوز على البعض وعلى الجميع ، وذلك موجود فى لغة العرب تقول العرب : هل يجئ لنا من هذا الثوب قميص ؟ أى من الثوب كله لا من بعضه ، وكقول الله ، عز وجل : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ (٣) ، يريد مقام إبراهيم ، عليه السلام ، كله لا بعضه ، وكقوله ، عز وجل : ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ (٤) ، (أى : (٥) بعض الذنوب ، ويعذب على بعضها ، وكقوله - عز وجل : ﴿ فَاجْتَبُوا السَّرِجِسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ (٦) ،

(١) سورة طه : الآية ٧٢ .

(٢) سورة الإسراء : الآية ٨٢ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٢٥ .

(٤) سورة الصف : الآية ١٢ .

(٥) زيادة ليست فى الاصل .

(٦) سورة الحج : الآية ٣٠ .

يريد اجتنبوا كل الاوثان ، وقوله ، عز وجل : ﴿ وَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾ (١) ، يريد كلكم . وقال لبيد بن ربيعة الكلابي :

تَرَاكَ أَمَكْنَةَ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا أو ترتبط بعض النفوس حِمَامُهَا (٢)
فقال بعض النفوس ، وإنما أراد النفوس كلها .

وقال ذو الرمة (٣) :

تَبَسَّمْتَ عَنِ نَوْرِ الْأَقَاحِيِّ بِالضُّحَا وفتن عن أبصار مَضْرُوجَةٍ كُحْلٍ (٤)

فقال : من أبصارهن ، وإنما أراد كل أبصارهن ، وقال الله ، عز وجل ، : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَفْعُؤْنَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُونَ أَرْوَاجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ﴾ (٥) ، يريد يغمضوا أبصارهم كلها عن محارم الله ، جل ثناؤه .

صيفة ، كان ، تساوى ، يكون ، عند العرب :

٢٧- وسألت عن قول الله ، عز وجل ، : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٦) ، وهو شيء قد كان وفرغ منه .

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : من ذلك أن العرب تجعل بدل « يكون » « كان » ، جائر ذلك في لغاتها (٧) ألم تسمع زياد الأعجم (٨) حيث يقول :

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٤ .

(٢) البيت : من معلقته ، انظر جمهرة اشعار العرب للقرشي ، معلقة لبيد بن ربيعة ، ص ١٣٥ ، « ترتبط » شرحها للمؤلف فقال : « تعلق » ، وهي تعنى : يحبس .

(٣) سبق ترجمته .

(٤) وروى البيت بدلاً من « الاقاحي » ، قال : « الثراء » ، ذو الرمة : الديوان ، ص ٤١٣ ، والبيت من بحر الطويل .

(٥) سورة النور : الآية ٣١ .

(٦) سورة يس : الآية ٨٢ .

(٧) يقول الزمخشري : « إذا اردنا وجود شيء فليس إلا أن نقول له : احدث ، فهو يحدث عقب ذلك لا يتوقف ، وهذا مثل ؛ لان مراداً لا يتمتع عليه ، وان وجوده عند إرادته ، تعالى ، غير متوقف ، كوجود المأمور به عند امر الأمر للطاع إذا ورد على المأمور المطيع المحتثل ، ولا قول ثم . والمعنى : أن إبداع كل مقدور على ، تعالى ، بهذه السهولة ، فكيف يتمتع عليه البعث الذي هو من شق المقدورات » . ٦٠٦/٢ .

(٨) زياد بن سليمان الأعجم أبو امامة العبدى ، مولى بني عبد القيس : من شعراء الدولة الأموية ، جزل الشعر ، فصيح الالفاظ كانت بلسانه عجمة ، ولد ونشأ بأصفهان وانتقل إلى خراسان ، وعاش ومات فيها ، عاصر المهلب بن أبي صفرة وله فيه مدائح كثيرة ومرث ، وكان هجاء بتقيه الشعراء ، شهد فتح إصطخر مع أبي موسى الأشعري وله وفادات على الخلفاء ، ت نحو ١٠٠هـ . انظر الاعلام ، ٥٤/٣ ، وخزانة الادب ، ١٩٣/٤ ، والشعر والشعراء ، ١٦٥ .

فانضح جَوَانِبَ قَبْرِهِ بِدِمَائِهَا فَلَقَدْ يَكُونُ أَخَا دَمٍ وَذَبَابِحٍ (١)

يريد فلقد كان ؛ لأنه قد مات .

سلطان الحجة :

٢٨- وسالت عن قول الله ، عز وجل ، ﴿ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾ (١٤٤) (٢) ، فقلت ما هذا السلطان ؟ ..

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : السلطان ها هنا هو الحجة ، والدليل على ذلك ١٥٧ و/ سليمان ، عليه السلام (٣) ، للهدد : ﴿ أَوْ لِيَأْتِيَنِي / بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ (٢٦) (٤) ، يريد حجة مبينة (٥) .

إذ ، للماضي والمستقبل :

٢٩- وسالت عن قول الله ، عز وجل ، : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ (٦) ، فقلت : « إذ » لا تكون لامرٍ مستقبل ، وإنما تكون لامرٍ قد مضى (٧) وفرغ منه !

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : هذا جائز في لغة العرب أن يقول لامرٍ مستقبل « إذ » ، من ذلك قول أبي النجم (٨) الشاعر :

فَتَى جِزَاهُ اللَّهُ عَنَا إِذْ جُزِيَ جِنَاتِ عَدْنِ فِي الْقَلَالَى الْعَلَا

(١) البيت : من قصيدة له رثى بها المغيرة بن المهلب ، ذكرها أبو علي القالي في اماليه حـ ٢٢٨/٣ ، وفي القصيدة : ونضح ، وهي من بحر الكامل .

(٢) سورة النساء : الآية ١٤٤ .

(٣) في الاصل : صلى .

(٤) سورة النمل : الآية ٢١ .

(٥) انظر ابن قتيبة : تاويل مشكل القرآن ، ص ٥٠٤ .

(٦) سورة المائدة : الآية ١١٦ .

(٧) في الاصل : ممن .

(٨) الفضل بن قدامة العجلي ، أبو النجم ، من بنى بكر بن وائل : من اكابر الرجاز ومن احسن الناس إنشاداً للشعر .

نبح في العصر الأموي ، وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وولده هشام . قال أبو عمرو بن العلاء : كان

ينزل سواد الكوفة ، وهو ابلغ من المعجاج في النعت . انظر ترجمته في الاعلام / ١٥١ ، وكذلك الاغانى / ١٠ / ١٥٠ ،

وخزانة الادب / ١ / ٤٩ ، ٤٠٦ ، والشعر والشعراء ؛ ص ٢٣٢ .

فقال : إذ جرى فى الآخرة ، وهو لم يُجز أحد بعد ، فجاز هذا فى اللغة ^(١) ، فافهم اعانك الله وأرشدك .

ندم على جهله لا على قتله لأخيه !

٣٠- وسالت عن قول الله ، عز وجل ، فى ابن آدم الذى قتل أخاه ، قال : ﴿ فَاصْبِحْ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ ^(٢) ، فقلت : الندم توبة فما له لم يتب عليه ، وقد ندم ١٩...!

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : إنه لم يندم على القتل ، وإنما كان على ما بلغنا مكث يدور به مائة ^(٣) عام يحمله لا يدرى كيف يواريه ، فبعث الله غراباً يبحث فى الأرض ، فلما رأى الغراب كيف وارى ^(٤) الغراب ، قال : ﴿ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَ أَخِي ﴾ ^(٥) ، فكان ندمه على ما حمله طول تلك المدة ولم يدفنه وحمله مائة سنة ^(٦) .

لا يقدرن على تكذيبك بحجة !

٣١- وسالت عن قول الله ، عز وجل ، للنبي ، صلوات الله عليه ، : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ ^(٧) ، فقلت : وای تكذيب أشد مما كذبه ، صلوات الله عليه ١٩ ؟ قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : وإنما عنى ^(٨) تبارك وتعالى ، أنهم لا يقدرن على تكذيبه بحجة يقهرونه بها ، فيلزمه التكذيب ^(٩) .

وهذا من قبيل المعارض :

٣٢- وسالت عن قول الله ، عز وجل ، : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ

(١) انظر فى ذلك ابن هشام : معنى اللبيب ، ١/ ٨١ (الوجه الثانى) .

(٢) سورة المائدة : الآية ٣١ .

(٣) فى الاصل : منه .

(٤) فى الاصل : وارا .

(٥) سورة المائدة : الآية ٣١ .

(٦) انظر الزمخشري : الكشاف ، ١/ ٦٢٦ .

(٧) سورة الانعام : الآية ٣٣ .

(٨) فى الاصل : عنا .

(٩) قارن تفسير الطبرى ، ٧/ ١١٥ - ١١٦ ، والكشاف ، ٢/ ١٨ .

مُبِينِ ﴿٢٤﴾^(١)، فقلت : إن قال لنا قائل : هذا القول يوجب (الشك)^(٢)، فما الرد عليه ؟

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : هذا على المداراة وحسن المعاملة ، كما يقول الرجل لصاحبه : والله إن أهدنا لكاذب ، وهذا من إنصاف الكلام ؛ لأن أقبح منه : إنا لعلي الهدى^(٣) ؛ وأنتم على الضلال^(٤) ؛ لأنه قال ، عز وجل ، ﴿... وَدَعَّ أَذَاهُمْ﴾^(٥)، فكان هذا الحد الإنصاف ، وجميل القول .

الفرق بين الحسرة منونة وغير منونة :

٣٣- وسألت عن قول الله ، عز وجل : ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾^(٦)، فقلت : أتكون الحسرة من المخلوقين المتحسرين ؟

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : إنه ، عز وجل ، لم يقل : يا حسرتنا ، وإنما قال : ١٥٧ظ / يا حسرة / بالتنيين ، فانما تقع الحسرة على العباد في تفریطهم في أمره ، عز وجل ، ومثل ذلك قول العرب للرجل : يا تبا لك ، ويا ويلاً لك ، ويا حسرة لك ، ويا بؤساً لك^(٧) .

هناك مضمهر محذوف تقديره ، يقولون ، :

٣٤- وسألت عن قوله ، عز وجل ، : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^(٨)، فقلت : ما معنى هذا القول .

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : هذا من الكلام الذى يجوز فيه الإضمار ، والمعنى فيه : والذين اتخذوا من دونه أولياء (يقولون)^(٩) ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى

(١-) سورة سبا : الآية ٢٤ .

(٢) بالهامش : أظنه يوجب الشك .

(٣) فى الأصل : لهدا .

(٤) هو من المصاريض ، وذكره ابن قتيبة فى تأويل مشكل القرآن ، ص ٢٦٦ وقال : «هو أحسن من التصريح» ص ٢٩٦ ، وعزاه للفراء .. راجع بهامشه اختلاف أهل العرب فى وجه دخول «أو» فى هذا الموضع فى تفسير الطبرى ، ٦٥/٢٢ .

(٥) سورة الاحزاب : آية ٤٨ .

(٦) سورة يس : الآية ٣٠ .

(٧) قارن بالزمخشري : الكشاف ١٣/٤٤ .

(٨) سورة الزمر : الآية ٣ .

(٩) زيادة وتكملة من الهامش .

الله زلفاً . فاضمر قول الكافرين ، وقطعه من وسطه ، ومثل هذا كثير في القرآن ، مثل ﴿ وَلَوْ لَأَفْضَلُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) ، ومثل قوله ، عز وجل ، ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَةٌ بِهِ الْمَوْتَى ﴾ (٢) ، ثم قال : ﴿ بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ (٣) ، ولم يذكر جواب ، ولو أن قرأنا ، والمعنى (٤) فيه : لكان هذا القرآن ، وهذا كثير في القرآن (٥) .

قال الشاعر :

وَإِذَا مَا الظَّلَالُ كُنُّ نَعَالًا وَاحْتَلَبْنَ الْحَمِيمِ أَىِ احْتَلَابَ

فقال : وإذا ما الظلال ، ولم يذكر بعده خبراً يدل على ما أراد بالظلال ، فاضمره وقطعه ، وإنما المعنى فيه أنه قال : وإذا ما الظلال قلص ولصق ، كان للإبل في حرارة تلك الشمس نعالاً لهم واستغنوا عن النعال ، فافهم هذا الباب .

ومن ذلك قول امرئ القيس بن حجر (٦) :

لعمرك لو شئ ، أأنا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدقعا (٧)

وكان يجب أن يكون لو أأنا رسوله ، لكان منا كذا كذا (٨) فاضمره . واجزأه ذلك ، وعرفت العرب ما أراد من الإضمار .

(١) سورة النور : الآية ١٠ . أراد لعذبكم ، فحذف .

(٢) سورة الرعد : الآية ٣١ . أراد : لكان هذا القرآن ، فحذف .

(٣) سورة الرعد : الآية ٣١ .

(٤) في الأصل : ولمعنا .

(٥) عقد ابن قتيبة باباً لهذا سماء «باب الحذف والاختصار» ص ٢١٠ وجاء من بعده أبو هلال العسكري فاخذ منه دون الإشارة إليه انظر ص ١٣٥ ، ١٣٦ . وذكر أنواع كثيرة من الحذف والإضمار منها ما ذكره هنا الإمام أحمد حيث قال : ومن ذلك أن يأتي بالكلام مبيئاً على أن له جواباً ، فيحذف الجواب اختصاراً لعلم المهطلب به ، انظر ص ٢١٤ ، وأما هلال والعسكري ، ص ١٣٦ .

(٦) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي من بني أكل المرار ، أشهر شعراء العرب على الإطلاق . يمانى الأصل . ادس الحمر وعشق النساء حتى قتل أخيه فحرم عليه كل شئ ، وخرج ثاراً لآبيه وذهب إلى الغساسنة وملك فارس وقباصرة الروم يطلب منهم المساعدة والعون في الثار لآبيه ، ولكن مات في طريق عودته من الشام ، وقيل أنه مات مسموماً . له ديوان شعر مطبوع . انظر ترجمته في الاعلام ، ١ / ١٢ ، وكذلك الاغانى ٩ / ٧٧ ، ودائرة المعارف الإسلامية ٢ / ٦٢٢ .

(٧) انظر البيت في موسوعة الشعر الجاهلي ، ص ٢٩٢ . وكذلك في ديوانه ، ص ٨٥ برواية «وجدك لو شئ... أما الشعلى نى ولفقه اللغة» ، ص ٣٤٤ فيذكر أنه جاء على النحو التالي : «فأقسم لو شئ...» ، وهو من بحر الطويل .

(٨) في الأصل : كذى كذى .

هناك مجنون تقديره ،فأنا أول العابدين لله ،

٣٥- وسألت عن قول الله ، عز وجل ، : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ (٨١) ﴿١﴾ .

قال أحمد بن يحيى ، عليه السلام : قد قيل فى هذه الآية بوجوه من الكلام ، منها أنهم قالوا : أنا أول العابدين لله على الإضمار ، وغير ذلك من القول ، وأما أنا فاقول إن العرب يقولون : إن العابد هو المنكر الآنف (٢) ، قال الفرزدق (٣) يهجو جريراً (٤) .

أولئك أكفائى فحسنى بمثلهم وأعيذُ أن تهجى كليبُ بدارم (٥)

يريد أى أنكر وآنف ، أن تهجى بنو كليب بنى دارم قومه .

ظنوا بمعنى تيقنوا ،

٣٦- وسألت عن قول الله ، عز وجل ، : ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُهَا ﴾ (٦١) ، فقلت : كيف ظنوا ، وقد صح لهم الامر ؟ . . .

١٥٨ و / قال أحمد بن يحيى ، عليه السلام : إن من الظن ما يكون فى لغة العرب يخرج على اليقين ، قال (دريد) بن الصمة الجشمى (٧) .

(١) سورة الزخرف : الآية ٨١ .

(٢) انظر وقارن تفسير الطبرى ، ٦٠ / ٢٥ ، ٦١ ، وزاد المسير ، ٣٣٢ / ٧ .

(٣) همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي ، أبو فراس ، الشهير بالفرزدق : شاعر من النبلاء من اهل البصرة ، عظيم الاثر فى اللغة ، كان يقال : لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب ، من شعراء الطبقة الاولى ، وكان ينشد الخلفاء قاعداً ، تبادل الهجاء والتعريض فى الشعر مع الأخطل وجرير بن عطية ، فنشأ من ذلك ديوان كبير فى العربية ، توفى سنة ١١٠ هـ ، له ديوان شعر ، انظر ترجمته فى الاعلام ٩٣ / ٨ ، وخزانة الادب ١٠٥ / ١ - ١٠٨ ، والاغانى ٣٢٤ / ٩ ، والشعر والشعراء ، ص ٤٤٢ .

(٤) جرير بن عطية بن حذيفة الخطلى بن بدر الكلبى اليربوعى ، من تهيم : اشعر اهل عصره ولد ومات فى اليمامة . وعاش عصره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم ، وكان هجاءً مرأ فلم يثبت امامه غير الفرزدق والأخطل ، وكان عفيفاً ، وهو أغزل الناس شعراً . وقد جمعت نقائضه مع الفرزدق وطبعت ، وله ديوان مطبوع . انظر ترجمته فى الاعلام ١١٩ / ٢ ، وكذلك الشعر والشعراء ، ص ١٧٩ ، وخزانة الادب ٣٦ / ١ ، وابن سلام : طبقات فحول الشعراء ، ص ٩٦ ، والاغانى الجزء الثامن / اوله .

(٥) البيت فى اللسان ٤ / ٢٦٥ ، وفى مجاز القرن ٢ / ٢٠٦ ، والجمهرة لابن دريد ١ / ٢٤٦ ، وجاء على النحو التالى :

أولئك قوم إن هجوتى هجوتهم وأعيذُ أن أهجو كليباً بدارم .

(٦) سورة الكهف : الآية ٥٣ .

(٧) دريد بن الصمة الجشمى البكرى من هوازن : شجاع ، من الأبطال والشعراء المعمرين فى الجاهلية ، عزا نحو مائة غزوة ، وعاش طويلاً حتى سقطت حواجبه ، وأدرك الإسلام ولم يسلم ، وقتل فى حنين ، انظر ترجمته فى الاعلام ٢٣٩ / ٢ ، وكذلك الاغانى ٣ / ١٠ - ٤٠ ، ٣٣٩ / ٢ ، وخزانة الادب ٤٤٦ / ٤ .

فقلت لهم : ظنوا بالفى مقاتل سرايلهم بالفارسى المسرد^(١)

يقول : قلت لهم : ايقنوا بالفى مقاتل ، وهذا جائز فى اللغة^(٢) .

أكاد بمعنى أريد :

٣٧ - وسالت عن قول الله ، عز وجل : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا ﴾^(٣) ، فقلت :
ما مخرج أكاد ؟ ..

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : أكاد يخرج على معنى أريد^(٤) ، قال الشاعر :

كادت وكدت ، وتلك خير إرادة لولا الوشاة بأن نكون جميعاً

القطع بما سيحدث كأنه حدث :

٣٨ - وسالت عن قول الله ، سبحانه : ﴿ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾^(٥) فقلت :
(كيف)^(٦) يجوز أن يخرجوهم^(٧) من النور ، وهم لم يكونوا فيه قط ؟

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : هذا كثير فى كلام العرب موجود فى لغاتهم ،

(١) بالهامش : وفى الجمهرة (علا فيه : ظنوا بالفى مُدجج سرايلهم فى الفارسى المسرد) البيت فى الاصمعيات ٤ ص ١١٢ ، وجمهرة أشعار العرب ٤ ص ١١٧ ، والأغانى ٤/٩ ، وشرح الحماسة للثبريزى ٣٠٥/٢ ، وله رواية أخرى .
فقلت لهم : ظنوا بالفى مدجج سرايلهم فى الفارسى المسرد .. وهو من بحر الطويل .

(٢) عقد ابن قتيبة فى مشكل القرآن باباً سماه : «باب المقلوب» ، ص ١٨٥ - ٢٠٩ .. ومن ذلك ان يسمّى المتضادان باسم واحد ، والاصل واحد ، ص ١٨٦ - ١٨٧ .. قال فيه : «ولليقين : ظن» . وللشك : ظن ، لان فى الظن طرفاً من اليقين . قال الله ، عز وجل : ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ ﴾ سورة البقرة / ٢٤٩ ، أى يستيقنون . وكذلك : ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيهِ ﴾ سورة الحاقة / ٢٠ ، ﴿ وَرَأَى الْمَجْرُمُونَ النَّارَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوقَفُونَ ﴾ سورة الكهف / ٥٣ ، و ﴿ إِنَّ ظَنًّا أَنْ يَقِيمَ حدودَ اللَّهِ ﴾ سورة البقرة / ٢٣٠ .

(٣) سورة طه : الآية ١٥ .

(٤) يقول الرمخشى : «أى أكاد أخفيها فلا أقول هى آتية لفرط إرادتى إخفاءها ، ولولا ما فى الإخبار بإتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما أخبرت به .

وقيل : معناه أكاد أخفيها من نفسى ، ولا دليل فى الكلام على هذا الم حذف ، ومحذوف لا دليل عليه مطرح . والذى عزم منه ان فى مصحف أبى : أكاد أخفيها من نفسى . وفى بعض المصاحف : أكاد أخفيها من نفسى فكيف أظهركم عليها وعن أبى الدرداء وسعيد بن جبير : أخفيها بالفتح ، من خفاء إذا أظهره ، أى : قرب إظهارها كقوله ، تعالى : ﴿ اقْرَبْتِ السَّاعَةَ ﴾ سورة القمر / ١ وقد جاء فى بعض اللغات : أخفاء بمعنى خفاء ٥٦/٣ .

وانظر تفسير الطبرى ، ١٧ / ١٢٠ .. وانظر القراءات الشاذة لابن خالويه ، ص ١٣٠ ، ١٣١ .. وابن قتيبة ، ص ٢٥ - ٣٧ .

(٥) سورة البقرة : الآية ٢٥٧ .

(٦) زيادة ليست بالاصل .

(٧) فى الاصل : يخرجونهم .

يقول القائل منهم : أخرج فلان ابنه من ميراثه ، والرجل حتى لم يمّ ، ولم يورث بعد ، ولم يكن قد دخل فيه كالدخول الذى يعرف ، ونحو قول العرب : اللهم ادخلنا الجنة ، وأخرجنا من النار ، وهم لم يدخلوها قط ، وقوله : ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ﴾ (١) ، يعنى ثم صاروا إلى الله ، وكقوله : ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ ﴾ (٢) ، وهو لم يكن فيه قط ، حتى بلغ وقته من الكبر والمشيخ ، قال الشاعر :

حتى يعودُ سواد القار كاللبن ، ولم يكن القار أبيض قط ، فقال : عاد ، لجوازه فى اللغة .

نساهم بمعنى تركهم متعمداً :

٣٩ - وسألت عن قوله ، عز وجل ، ﴿ فَأَلْيَوْمَ نَسَاهُمْ ﴾ (٣) ، فقلت : ما معنى نساهم والله ، تبارك وتعالى ، لا يجوز عليه النسيان ؟

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما : هذا معنى به الترك متعمداً ، وذلك قوله ، عز وجل ، ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ (٤) ، وإنما هم (٥) تركوا أمر الله فتركهم (٦) . ولو كان ذلك منهم نسياناً على الحقيقة ، وما أخذهم بالنسيان .

جواز حذف ، لا ، لفظاً وإثباتها معنا :

٤٠ - وسألت عن قوله : تبارك وتعالى ، : ﴿ يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضَلُّوا ﴾ (٧) ، فقلت : ما معنى هذا القول ؟

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : معناه ألا تضلوا ، وهذا كثير فى كلام العرب (٨) ، قال عمرو بن كلثوم (٩) :

-
- (١) سورة الانعام : الآية ٦٢ .
(٢) سورة الاعراف : الآية ٥١ .
(٣) سورة الحج : الآية ٥ .
(٤) سورة التوبة : الآية ٦٧ .
(٥) فى الاصل : هو .
(٦) انظر الكشف ، ٢ / ١٠٩ . قال الزمخشري : «نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من الجحير لا يذكرونهم به» .
(٧) سورة النساء : الآية ١٧٦ .
(٨) هو من قبيل الحذف والاختصار . فقد حذف «لا» من الكلام والمعنى وإثباتها كقوله سبحانه : ﴿ قَالَ لَهُ فَقَدْ قَدْ كَرُّ يَوْسُفَ ﴾ سورة يوسف / ٨٥ ... ابن قتيبة ، ص ٢٢٥ .
(٩) عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب ، من بني تغلب ، أبو الأسود : شاعر جاهلى ، من الطبقة الاولى . ولد فى شمال الجزيرة ، وارتحل إلى بلاد كثيرة ، وعرف بعزة النفس والشجاعة ، قتل الملك عمرو بن هند ، ومعلقته مشهورة . توفى نحو ٤٠ ق . هـ . انظر ترجمته فى الاعلام / ٨٤ ، وكذلك الاغانى ١١ / ٥٢ ، سمط الألى ٦٣٥ ، والشعر والشعراء ؛ ص ٦٦ .

نزلتم منزل الأضياف منا لعجلنا القرى أن تشتمونا (١)

يريد أن لا تشتمونا ، وقال راعى الإبل النميرى (٢) :

أزمان قومي والجماعة كالذى فلزم الرحالة أن تميل ممبلا (٣)

يريد أن لا تميل

وقال قيس بن زهير العبسى (٤) :

رأتك لا ما سوك معاشرأ نزال يد فى فضل قعب ومزودى

يريد أن لا تزال يدا ، فافهم ذلك إن شاء الله .

١٥٨ ظ / « من أمر الله ، يعنى « بأمر الله » ،

٤١- وسألت عن قوله ، عز وجل : ﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ / مِنْ

أمر الله ﴾ (٥) ، قلت ؛ وهل يكون من أمر الله ، جل ثناؤه ، حافظ ودافع ؟

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : المعنى فى هذا أن يحفظوه بأمر الله ، وهذا من

حروف الصفات التى يعقب بعضها ، قال الشاعر :

إذا رضيت على بنو قشير لعمر الله أعجبنى رضاها (٦)

(١) البيت : خزنة الادب ١/٥١٨ ،

(٢) عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النميرى ، ابو جندل شاعر من فحول المحدثين . كان من جلة قومه ، ولقب بالراعى لكثرة وصفه الإبل . كان يفضل المرزوقى على جرير ، وهو من أصحاب الملحقات توفى سنة ٥٩٠ هـ . انظر ترجمته فى الاعلام ٤/١٨٩ ، وكذلك جمهرة اشعار العرب ١٧٢ ، والشعر والشعراء ، ص ١٥٦ .

(٣) البيت : فى جمهرة اشعار العرب ، ص ٢٢٧ ، ضمن الملحقات السبع التى اختارها ، ص ١٧٦ ، وخزنة الادب ١/٥٠٢ ، وهو أحد شواهد سيبويه ١/٣٠٥ ، من بحر الوافر . ويوجد فى العينى ٢/٥٩ .

(٤) سبق ترجمته .

(٥) سورة الرعد : الآية ١١ .

(٦) البيت من بحر الوافر ، وهو من شواهد للنحريين على معنى « على » بمعنى « عن » ، وقائله هو فحيف العقيلي ، كما نواذر أبى زيد ٤٨١ ، وانظر : ادب الكاتب ٣٩٥ ، والكمال ٢/١٩٠ ، والمقتضب ٢/٣٢٢ والخصائص لابن جنى ٢/٣١١ ، والهمع ٢/٢٨ ، وكذا فى جمهرة اللغة لابن دريد ١٣١٤٠ غير منسوب ، وهو على النحو التالى :

إذا رضيت على بنو نمير لعمر الله أعجبنى رضاها

يريد رضيت عني^١ ، قال النابغة^(١) :

فلا تتركني بالوعيد كأنسى إلى الناس مطلى به القار أجرب^(٢)

يريد لا تتركني في الناس ، فقامت «إلى» مقام «في» ، مثل قوله : ﴿... في جُدُوعِ النَّخْلِ﴾^(٣) . فاهم ذلك إن شاء الله :

أمرناهم فتركوه وفسقوا فأهلكناهم :

٤٢ - وسالت عن قول الله ، سبحانه ، ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾^(٤) ، فقلت : ما مخرج ذلك في العدل ؟

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : هذا من الكلام الذي ذكرت لك ، أنه يضم في لغة العرب ، وإنما المعنى^(٥) : إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها بأمرا ، فتركوه وفسقوا فيها ، وهذا كثير في لغة العرب ، وفي كتاب الله ، عز وجل ، من هذا كثير أيضاً ، ألا تسمع إلى قوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾^(٦) ، فاضمر ، والمعنى فيه كان كذا ونذا^(٧) ، ومثله قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَةٌ بِهِ الْعَوْتَى﴾^(٨) ، ثم اضمر ، فقال : ﴿بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾^(٩) ، والمعنى فيه : لكان هذا القرآن ، وإنما نزل عليهم بلسانهم الذي يعرفون ولا ينكرون^(١٠) .

(١) زياد بن معاوية بن ضباب الذيباني الغطفاني المضري ، أبو امامة : شاعر جاهلي من الطبقة الاولى من أهل الحجاز ، كان ينقد الشعراء ويصنفهم في سوق عكاظ ، غضب عليه النعمان لوشاية بينهم ، ثم رضى عنه بعد ذلك . كان من أحسن شعراء العرب لفظاً ومعناً ، له ديوان شعر محقق ومطبوع ، انظر الاعلام / ٥٥ ، وكذلك الشعر والشعراء ، ص ٣٨ ، وخرزانه الادب / ٢٨٧ و ٤٢٧ ثم ٤ / ٩٦ ، وجمهرة ابن دريد ، ص ٢٦ و ٥٢ ، والأغاني / ٣ / ١١ .

(٢) البيت من بحر الطويل انظر ديوانه النابغة ، ص ٧٣ .

(٣) سورة طه : الآية ٧١ .

(٤) سورة الإسراء : الآية ١٦ .

(٥) في الاصل : المعن .

(٦) سورة النور : الآية ٢٠ .

(٧) في الاصل : كذى وكذى .

(٨) سورة الرعد : الآية ٣١ .

(٩) الهامش السابق .

(١٠) انظر ابن قتيبة ، ص ٢١٩ .

ألا ترى إلى قول الشاعر :

وكيف تواصل من أصبحت أمانته كأبى مرحب (١)

يريد كإمانة أبي مرحب ، فاضمر ، وقال آخر :

فإن المنية من يخشها فسوف يصادفها أينما (٢)

فاضمر ، وإنما أراد أينما كان من الدنيا أدركته المنية ، فاضمر ، وقد قال الله ، عز وجل ، : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ سَیْبِحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَیَسْتَفْهِرُونَ لِمَن فی الْأَرْضِ ﴾ (٣) ، ثم اضمر وفى الأرض اليهود (٤) والنصارى (٥) وعبدة الأوثان (٦) والدهرية (٧) وأصحاب النور والظلمة (٨) ، والزنادقة وعباد البددة وغير ذلك .

(١) البيت للناطقة الجمعدى ، انظر أمالى أبى على القالى ١٩٢/١٤ ، وسط اللاكى ، ص ٤٦٥ ، وفى اللسان مادة خلل ه ٢٣٢ و « ورحب » ٤٠٠ ، وهو من شواهد سيبويه فى الكتاب ، ٢١٥١ / ، طبعه الخانجى وتحقیق الشیخ عبد السلام هارون ١٩٨٨ .. ونصه فى لسان العرب هكذا :

« وكيف تواصل من أصبحت خلالتة كأبى مرحب » وهو من بحر المتقارب .

(٢) البيت : للنمير بن تولب ، انظر مختارات ابن الشجرى ، ١٦/١ ، والمعانى الكبير لابن قتیبة ، ١٢٦٤/٢ ، وادب الکاتب ، ص ٢٢٨ .

(٣) سورة الشورى : الآية ٥ .

(٤) اليهود اصحاب ديانة سماوية وهم اتباع سيدنا موسى ، عليه السلام ، جاءهم بشريعة منزلة من عند الله وهى التوراة ، وقد اتسموا بالنظرة المادية والرعونة ، ولذلك جنحوا نحو التشبيه ، وانقسموا إلى فرق فكان الروانيون منهم كالمعتزلة فىنا ، والقراءون كالمجهرية والمشبهة ونفوا النسخ ، واجازوا الرجعة وحرفوا كتابهم نصاً واحكاماً وطمسوا كثيراً من حقائقه ، ومن فرقهم العنانية والعيسوية والمقاربة واليوزغانية والموشكانية والسامرة . انظر الملل والنحل للشهرستانى ، ١/٢٥٠-٢٦٢ ، والمقريزى فى المواظ والاعتبار ، ٤/٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧ ، والطبرى فى مجمع البيان ، ١/٢١٧ ، ١٢٩ ، ٢٦٥ ، واعتقادات الرازى ، ص ٨٣ .

(٥) النصارى أمة سيدنا عيسى ، عليه السلام ، جاءهم بالإنجيل ، فصدقه بعض الحواريين واكذبه كثير من اليهود وكادوا له هم والرومان فرفعهم الله إليه ، فاختلفوا من بعده فمنهم من قال بتبوتيه ومنهم من قال بالوهيته ، ولا يزالون مختلفين وجعلوه لله شريكاً وتوزعتهم الآراء وحرفوا الإنجيل ومنهم : الملكانية ، والنسطورية ، واليهودية . انظر الملل والنحل ، ١/٢٦٢-٢٧٢ ، وابن حزم فى الفصل ... ٢/٨ ، والمقريزى ، ٤/٤٠٨ ، واعتقادات الرازى ، ص ٥٤ وابن خلدون ، ١/٢٢٤-٢٢٥ .

(٦) عبدة الأصنام والأوثان فرق عدة اجتماعوا على إنكار البعث والنشور ، وعبادة الشركاء مع الله من الحجارة والأخشاب أو النجوم والكواكب والشمس والقمر ، وعبد بعضهم الحيوانات والطيور ، ومنهم مشركو العرب وعباد البددة ومشركو الهند . انظر مسزهد من المعلومات عن هؤلاء فى الملل والنحل ، ٢/٦٠١-٦١٣ ، والفهرست لابن النديم ، ص ٤٨٨-٤٨٩ .

(٧) الدهرية هم منكروا الالهوية ، ومنهم منكروا البعث والنشور ، الذين يقولون نموت ونحيا وما يجعلنا إلا الدهر ، وهم فرق عدة ، ويمتقدون اللذة والمنفعة مذهباً أخلاقياً ، ويؤمنون بالوهية الطبيعية والزنادقة منهم . انظر الموسوعة الفلسفية ، ص ١٨٣ .

وإنما المعنى فيه ، ويستغفرون لمن فى الأرض من المؤمنين خاصة دون غيرهم ، تقول العرب : أما والله يافلان ، لولاي لعلمت كيف يكون حالك ، فيجزئ ذلك ويعلمون أنه من طريق الوعيد فإن لولا كذا وكذا ، لعلمت كيف يكون حالك . فافهم هذا الباب إن شاء الله .

معانى الفتنة فى القرآن الكريم :

٤٣ - وسالت عن قول الله ، تبارك وتعالى ، : ﴿ وَنَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ (١) ، فقلت : ما معنى هذا فى العدل ؟

١٥٩ / قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله (٢) / عليه : نبلوكم بالشر : نهياً عنه ، وبالخير : أمراً به ، والبلوى امتحان (٣) ، والفتنة تخرج فى كتاب الله ، جل ثناؤه ، على عشرة وجوه فى القرآن :

١- فالوجه الأول : من الفتنة يعنى بها الشرك ، وذلك قوله : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ (٤) ، نظيرها فى الأنفال ، حيث يقول : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً ﴾ (٥) ، يقول : حتى لا يكون شرك ، ويكون الدين كله لله (٦) .

وقال ، سبحانه ، فى البقرة : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ (٧) ، يعنى الشرك بالله أعظم جرماً ، عند الله من القتل فى الشهر الحرام ونحوه كثير .

٢- والوجه الثانى : فتنة يعنى بها الكفر ، وذلك قوله ، عز وجل ، فى آل عمران : ﴿ بَغْيَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ (٨) ، يعنى الكفر (٩) ، وكقوله ، سبحانه ، ﴿ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾ (١٠) ،

= (٨) وهم الذين يعبدون إلهين هما الخير والشر أو النور والظلمة وهو عند المجوس الله والشيطان أو يزدان وأهرمان ، وللحق بهم الثنوية ومنهم المانوية والديسانية والمرقونية ، على اختلاف طفيف بينهم .. راجع اعتقادات الراسى ، ص ١٣٤ - ١٤٢ ، والملل والنحل ، ٢ / ٥٨١ ، ٦٠١ .

(١) سورة الأنبياء : الآية ٣٥ .

(٢) فى الاصل : صلوات الله

(٣) انظر لسان العرب ، ٢٠ / ٩٠ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٩٣ ، وانظر الكشاف ، ١ / ٢٣٦ .

(٥) سورة الأنفال : الآية ٣٩ .

(٦) يقول الزمخشري : إني ان لا يكون فيهم مشرك قط .. ويضمحل عنهم كل دين باطل ، ٢ / ٢٢٠ .

(٧) سورة البقرة : الآية ٢١٧ .

(٨) سورة آل عمران : الآية ٧ .

(٩) انظر الكشاف ، ١ / ٣٣٨ .

(١٠) سورة التوبة : الآية ٤٩ .

يعنى الكفر^(١)، كقوله ، تبارك اسمه ، فى سورة النور : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾^(٢) ، يعنى كفراً^(٣) ، وكقوله ، عز وجل ، فى سورة الحديد : ﴿ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾^(٤) ، يقول : كفرتم وشبهتم على أنفسكم^(٥) ، وكذلك كل فتنة فى المنافقين واليهود .

٣ - الوجه الثالث : يعنى به بلاء وهو المحنة ، فذلك قوله ، تبارك وتعالى ، فى العنكبوت : ﴿ الِّمَّ ۝ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۚ ﴾^(٦) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ^(٦) ، يعنى ولقد ابتلينا الذين من قبلهم^(٧) ، وقال موسى ، صلى الله عليه ، : ﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾^(٨) ، يعنى ابتليناك ؛ لان الله ، عز وجل ، لا يفتن نبيه ، وإنما يريد بالفتنة للنبي ، صلى الله عليه ، المحنة^(٩) .

وفى الدخان : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ ﴾^(١٠) ، يعنى ولقد امتحنا الذين من قبلهم ، يعنى قوم فرعون^(١١) .

٤ - والوجه الرابع : يعنى العذاب ، وذلك قوله ، عز وجل ، : ﴿ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ﴾^(١٢) ، يعنى جعل عذاب الناس فى الدنيا ، كعذاب الله فى الآخرة^(١٣) . نزلت فى عباس بن أبى ربيعة أخى أبى جهل ، لعنه الله^(١٤) ، الآية

(١) يقول الزمخشري : .. أى إن الفتنة هى التى سفطوا فيها ، وهى فتنة التخلف . . . ٢٧٧/٢ ، وقارن بابن كثير ٣٩٨/٢ .

(٢) سورة النور : الآية ٦٣ .

(٣) قارن بالكشاف ٢٦٠/٣ . . ولكن ابن كثير يوافقه فيقول : أى فى قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ، ٣٣٨/٣ .

(٤) سورة الحديد : الآية ١٤ .

(٥) يقول الزمخشري : محتتموها بالنفاق واهلكنموها ، ٤٤١ / ٤٧٦ .

(٦) سورة العنكبوت : الآية الاولى .

(٧) انظر الكشاف ٤٣٩/٣ .

(٨) سورة طه : الآية ٤٠ .

(٩) انظر حديث الفتون فى تفسير ابن كثير ، ١٦٤/٣ - ١٧٠ .

(١٠) سورة الدخان : الآية ١٧ .

(١١) انظر الكشاف ٢٧٤/٤٤ .

(١٢) سورة العنكبوت : الآية ١٠ .

(١٣) انظر صمداح التجيبى : المصحف المفسر ، ص ٣٩٧ .

(١٤) انظر النيسابورى : اسباب النزول ، ص ٣٤٨ ، ٣٤٩ .

نظيرها فى النحل حيث يقول : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا ﴾ (١) ، يعنى من بعد ما عذبوا فى الدنيا (٢) .

٥- والوجه الخامس : يعنى به الإحراق بالنار فى الدنيا ، فذلك قوله فى « السماء ذات البروج » : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ ﴾ (٣) ، يعنى الذين حرَّقوا المؤمنين والمؤمنات فى الدنيا (٤) .

وقال فى سورة الذاريات : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى السَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ (١٢) (٥) ، يعنى يعذبون ويحرقون بالنار فى الآخرة ﴿ ذُوقُوا فَتَنَتِكُمْ ﴾ (٦) ، يعنى حريقكم بالنار ، والآخرة ٥٩ ظ / ليس / فيها فتن مثل فتن الدنيا ، وهذا دليل لمن عقل .

٦- والوجه السادس : من الفتنة يعنى به القتل ، وذلك قول الله ، سبحانه فى سورة النساء : ﴿ إِنَّ خِفَتُمْ أَنْ يُفْتِكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (٧) ، يقول : إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا (٨) ، وكقوله فى سورة يونس ، صلى الله عليه : ﴿ عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ ﴾ (٩) ، يعنى يقتلهم (١٠) .

٧- والوجه السابع : من الفتنة الصد ، وذلك قوله فى سورة المائدة : ﴿ وَأَحْذَرُهم أَنْ يَفْتِنُوكَ ﴾ (١١) ، يقول : أن يصدوك عن بعض ما أنزل الله إليك (١٢) ، وقال فى سورة بنى إسرائيل : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ ، يعنى ليصدوك (١٣) .

(١) سورة النحل : الآية ١١٠ .

(٢) انظر الكشاف ٢٤ / ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، وابن كثير ، ٢ / ٦٤٩ .

(٣) سورة البروج : الآية ١٠ .

(٤) انظر الكشاف ، ٤ / ٧٣٢ ، والمصحف المفسر للتجيبى ، ص ٥٩١ ، واللسان ، ١٧٤ / ١٩٧ .

(٥) سورة الذاريات : الآية ١٣ .

(٦) سورة الذاريات : الآية ١٤ .

(٧) سورة النساء : الآية ١٠١ .

(٨) انظر شرح ذلك فى سياق آيات الجهاد وجواز قصر الصلاة فى الحرب .. يقول الزمخشري : « المراد بالفتنة : القتل والتعرض بما يكرهه .. » ، ٥٥٩ / ١ .

(٩) سورة يونس : الآية ٨٣ .

(١٠) ظن ابن كثير ومن قبله ابن جرير أن المقصود بالفتنة هو إكراههم على الكفر ، ولكن الزمخشري يصيب فيقول : « يريد أن يعذبهم .. » ، ٨٣ / ٢ .

(١١) سورة المائدة : الآية ٤٩ .

(١٢) انظر التجيبى ، ص ١١٦ ، واللسان ، ١٣ / ٣٢٥ .

(١٣) فى الاصل : ليصدونك .

٨- والوجه الثامن من الفتنة : يعنى به الضلالة ، فلذلك قوله ، عز وجل ، فى الصافات : ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (١٦١) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴾ (١) ، يعنى ما أنتم عليه بمضلين من أحدٍ إلا من هو صال الجحيم ، وقال فى سورة المائدة : ﴿ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ ﴾ (٢) ، يقول : من يرد الله ضلالته ، فلن تملك له من الله شيئاً .

والله ، عز وجل ، لا يضل به إلا من استحق الضلال ؛ وذلك قوله ، عز وجل ، ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ (٣) .

٩- والوجه التاسع من الفتنة : يعنى به المعذرة ، وذلك قوله ، عز وجل ، فى سورة الأنعام : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتْنُهُمْ ﴾ (٥) ، يعنى ثم لم تكن فتنتهم ، يعنى ثم لم تكن معذرتهم إلا أن قالوا : والله ربنا ما كنا مشركين .

١٠- والوجه العاشر من الفتنة : قوله ، عز وجل ، فى الأعراف : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾ (٦) ، يقول إن هى إلا محنتك .

معانى العدوان فى القرآن الكريم :

٤٤ - وسألت عن قول الله ، سبحانه ، : ﴿ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (١٩٣) (٨) ، يقول : لا سبيل إلا على الظالمين ، وقلت : ما العدوان ؟ .

(١) سورة الصافات : الآيات ١٦١ ، ١٦٢ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٤١ .

(٣) انظر الكشاف ٤ / ٣٤ ، والتعليق بالهامش . ويمكنك التفريق بين هل يضل الناس ابتداء ، ام يضلهم استحقاقاً على كفرهم ؟ وهذا الإضلال عبارة عن ترك اللطف بهم ، او عدم توجيه العناية بالهداية إليهم .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٦ . انظر معانى «الضلال» فى القرآن الكريم للهادى يحيى بن الحسين فى : كتاب فيه معرفة الله من العدل والتوحيد ، ج٢ / ٨٣ ، ٨٤ ، تحقيق د/ محمد عمارة ضمن مجموع رسائل العدل والتوحيد ، طبع دار الشروق ، ثانية ، ١٩٨٨ . ثم قارن ذلك بما ذكره ابن قتيبة فى كتابه : «تأويل مشكل القرآن» حول معانى الضلال فى القرآن الكريم ، ص٤٥٧ ، ٤٥٨ ، وكذا فى كتابه «المعانى الكبير» طبعة حيدرآباد سنة ١٣٦٨هـ ؛ ج٢ / ١٩٩٥ وما بعدها .

(٥) سورة الأنعام : الآية ٢٣ .

(٦) قال ابن قتيبة عن الفتنة هنا انها الاختبار ، اما الزمخشري فقال : كفرهم أو جوابهم . انظر المشكل ، ص ٤٧٢ - والكشاف ، ١٢ / ٢ .

(٧) سورة الأعراف : الآية ١٥٥ .

(٨) سورة البقرة : الآية ١٩٣ .

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : العدوان على وجهين فى القرآن :

١- فالوجه الأول : قوله ، سبحانه ، ﴿ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (١٩٣) ، يقول : لا سبيل على الظالمين .

٢- والوجه الآخر : كقول موسى ، صلوات الله عليه ، فى سورة القصص : ﴿ أَيُّهَا الأَجَلِينَ قُضِيَتْ فُلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ .. ﴾ (١) ، يقول : فلا حجة على .

الأصل :

٤٥ - وسألت : ما الرد على من زعم أن القاتل لو لم يقتل المقتول لمات فى تلك الساعة بعينها ؟

١٦٠ و / قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام (٢) : لهذه المسألة جوابات كثيرة يجزئ منها ما سنذكره ، إن شاء الله .

١- فنقول : لو كان كل مقتول يقتل ، لو لم يقتل لمات فى ذلك الوقت ، ولم يعيش طرفه عين ؛ لكان على قود قولكم ، أن من قصد إلى أنعام قوم من بقر وإبل وغنم فذبحها عن آخرها ، أنه - على نحو قولكم - لا يجب عليه لوم ولاذم ولاغرامة ، بل يجب أن يشكر ويحمد ويحسن مكافاته والثناء عليه ؛ لأنه لو لم يذبحها لماتت كلها ، على زعمكم ، وكان أهلها لا ينتفعون بشئ منها لا بلحم ولا بجلد (٣) .. وهذا القول خارج من حكم الإسلام ، ومفارق لما جاء به محمد ، عليه السلام .

٢ - ومن الحججة على من قال : إنه لو لم يقتل مات ، وأن من قتل بأجله ، وأنه لم يكن ليجوز ذلك الذى قتل فيه ؛ لأن قتله موته الذى حكم الله به عليه .

فيقال لمن قال هذا القول : مات قول فيمن قتل رجلاً هل يقتل به أم لا ؟ ..

فإن قال : يقتل به .. فقد جورَّ الله ، عز وجل ، فى فعله ؛ لأنه حكم عليه بالقتل وجعله موتاً ، فلم يكن هذا القاتل ليقدر أن يخرج ، مما جعل الله وحكم به عليه ،

(١) سورة القصص : الآية ٢٨ .

(٢) فى الأصل : عليهما .

(٣) فى الأصل : بلحم .

فإذا حكم عليه بأمر وعذبه فيه ، فقد ظلمه ، وعز الله سبحانه عن ذلك وجل عن ظلم العباد ، أو أن يأمر بأمر ويعاقب عليه ، وأن يرضى ما سخط أو يسخط ما رضى .
والقائل بهذا لا يرضى لنفسه لو كان له عبد فأمره بأمر ، فلما أنفذه عاقبه عليه ، كان ذلك ظلماً وعدواناً ، ولنفاه عن نفسه ، ولما إذا أنطق لسانه أن ينسب الظلم إلى من هو فوقه ممن يخافه ١٩

فكيف يقول بذلك قائل أو يتكلم به متكلم ، والله ، عز وجل ، ينفى ذلك عنه ؛ ويقول : ﴿ وَالسِّينَ بِالسِّينِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا ﴾ (١) ، ويقول : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ (٢) ، ويقول ، عز وجل ، : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ (٤) ، وإنما السلطان الذى جعله الله للولى ، أن يقتل قاتله ، وكيف يقتل من قتل اخاه ، والله حكم بذلك عليه وجعله له موتاً ١٩ ..

هذا قول فاسد مدخول ، لا يقول به مؤمن ، ولا يتكلم به عاقل ولا عالم ؛ لانه يلزم ، من قال هذا ، الظلم لله ، سبحانه ، والتجوير والتكذيب لكتابه ، وعز الله وجل عن ذلك .

١٦٠ ظ / ٣ - ومن الحججة فى ذلك قول الله ، عز وجل ، / ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٥) ، فواجب عليهم العذاب فى فعلهم ، ولو كان فعلهم هو الموت الذى أراد أن يجعله بأيديهم ، لما عذبهم فيما حكم عليهم ؛ لانه ، سبحانه ، يقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٦) ، ينفى (٧) الظلم عن نفسه ، واعلمنا أن الظلم من العباد لانفسهم ، بارتكابهم لمانهاهم عنه ، وحذرهم إياه .

(١) سورة المائدة : الآية ٤٥ . فى الاصل : النفس بالنفس ا

(٢) سورة الإسراء : الآية ٣٣ .

(٣) سورة النساء : الآية ٩٣ .

(٤) سورة الإسراء : الآية ٣٣ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ٢١ .

(٦) سورة يونس : الآية ٤٤ .

(٧) فى الاصل : فنفا .

ومن جوراً الله ، سبحانه ، فى فعله ، وقال عليه بما هو نفاه عن نفسه ، فقد كفر واستوجب بكذبه ، النار وساءت مصيراً .

وهذه الحجج من كتاب الله ، سبحانه ، وعن رسوله ، صلوات الله عليه ، وعلى ما يطول شرحه ويكثر ذكره . وفى أقل مما ذكرنا كفاية ، والله الحمد كثيراً ، كما هو أهله ومستحقه (١) .

لم خلق الله الحيوانات الضارة لبني آدم؟

٤٦ - وسألت فقلت : ما معنى خلق الحية والعقرب ، وفيهما الضرر على الناس ، وكان أولى فى الحكمة وأقرب إلى الرحمة أن لا يخلق شيئاً من هذه المخلوقات الضارة لبني آدم التى تضرهم؟

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما : إن من عدل الله ، سبحانه ، ورحمته وحكمته ، خلق الحيات والعقارب ؛ لأن فيها من التذكير والتخويف ، لما هو أشد منها من عذاب جهنم المقيم ، ما جعل فيه حذراً وزجراً عن الاقتحام على المعاصى .

ولولا ذلك أيضاً ، ما درى الناس ما فضل العافية على البلاء ، ولا السلامة على الشفاء ، ولا عرفوا الفرق بين النعمة والنقمة .

وفى ألم ذلك السم وشدة حريقه ، من التحذير للعباد ما يورث المنفعة والتوبة ، والكف عن الإقدام على ما يسخط الله ، عز وجل .

وإنما هو حريق ساعة ، ثم يموت أو يسلم ، فكيف بالعذاب الدائم الذى أعد الله ، عز وجل ، لمن عاداه وعندَّ عن أمره . . . فالمصاب بالسم يعتبر ، والناظر إليه يعتبر ، كل ذلك حكمة ورحمة ، فافهم ذلك ، إن شاء الله .

(١) انظر مزيداً من التفصيل حول هذه المسألة فى رسالة الإمام يحيى بن الحسين : الرد والاحتجاج على الحسن بن محمد بن الحنفية ، ١٥٣/٢ ، المسألة التاسعة وهى تدور حول إذا ما كانت الأجل موقنة أم لا ؟ ومن الذى وقتها ، وكذلك كتاب النجاة للإمام أحمد بن يحيى بتحقيقنا وطبع دار الأفاق العربية .

وقولك : لم خلق الله الحية والعقرب ، وفيهما من الأذى ما قد سميت ، والله ، عز وجل ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾^(١) ، وليس لاحد أن يقول : لم خلق ما يضر ، والله ، عز وجل : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾^(٢) ، وخلقه كله حكمة ، وفي خلقه دلائل وعبرة ، نسال الله ، لنا ولك ، الهداية بمنه ورحمته .

ما معنى عدم فقه الكفار بقلوبهم أو رؤيتهم بأعينهم :

٤٧ - وسالت عن قوله تعالى : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾^(٣) الآية^(٤) .

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما : الجواب فى ذلك أنهم كانوا عن الحق مما عن استماعه من غير عمى ولا صمم كان بهم ، والعرب تكلم بهذا فى قولها من ذلك ١٦١ و / أن / الرجل إذا كلم رجلاً ، فلم يرفع لكلامه رأساً ، قال : أنت أصم عن قولى واعمى عما أريد منك ، قال الشاعر نحو ذلك :

أعمى إذا ماجرتى خرجت حتى يوارى جارتى السترُ
وأصم عما كان بينهما سمعى وليس يخونه وقر^(٥)

وفى هذا البيت الأخير إضماراً أيضاً ، فافهم الا ترى كيف قال : وأصم عما كان بينهما ، ولم يذكر اثنين ، وإنما ذكر جارة واحدة ، ثم قال : بينهما . فصارا اثنين ، وذلك أنه أرادها وزوجها ، فاضمر الزوج ، وهذا ليس من مسالتك ، ولكن زدناك حجة فى الإضمار ، فاعلم ذلك إن شاء الله^(٦) .

معنى السرفى آية البقرة ﴿ وَلَكِنْ لَّا تُؤَاعِدُوهُمْ سِرًّا ﴾ :

٤٨ - وسالت عن قوله ، سبحانه ، : ﴿ وَلَكِنْ لَّا تُؤَاعِدُوهُمْ سِرًّا ﴾^(٧) .

(١) سورة آل عمران : الآية ٤٧ .

(٢) سورة الأنبياء : الآية ٢٣ .

(٣) سورة الاعراف : الآية ١٧٩ .

(٤) هناك سؤال محذوف تقديره : ما معنى هذا .. هل يكلف الله من لا يفقه ولا يسمع ولا يرى بالإيمان ١٤

(٥) بقول عنتره : وأغضى طرفى ما بدت لى جارتى حتى يوارى جارتى ماواها . الدهوان ، ١٥٤ .

(٦) انظر مزيداً من التفصيل حول هذه المسألة فى رسالة الرد على ابن الحنفية للإمام يحيى ، ٢ / ٢٤٠ .

(٧) سورة البقرة : الآية ٢٣٥ .

قال أحمد بن يحيى ، (عليهما) ^(١) السلام ، : السرفى لغة العرب ، هو النكاح ،
معروفاً عندهم غير منكر ، قال أعشى قيس ^(٢) .

فلا تدنون من حرةٍ إن سَرَّها عليك حرامٌ فانكحن أو تابدا ^(٣)

والتأبيد ترك النكاح ، مشتق من التوحش ، والدليل على ذلك قول لبيد بن ربيعة
الكلابى ^(٤) حيث يقول :

عفت الديارُ محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها ^(٥)

والتأبد عندهم معروف غير منكر ؛ وجماعة الوحش الأوابد .

وقال امرؤ القيس بن حجر الكندى ^(٦) :

ألا زعمت بسباسة اليوم أننى كبرت وأن لا يُحسن السرَّ أمثالى ^(٧)

معانى الطاغوت ،

٤٩- وسالت عن الطاغوت ومعانيه ، فقلت ﴿زيادة من الهامش﴾ ^(٨) فى القرآن مرة
مذكراً ومرة مؤنثاً ، ومرة جماعةً ، فما معنى ذلك ؟ أعلى الله ذكرك .

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : تفسير الطاغوت على ثلاثة أوجه فى
القرآن :-

١- الوجه الأول من الطاغوت : يعنى به الشيطان ، فذلك قوله فى سورة البقرة :
﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ ^(٩) ، يعنى به الشيطان ، فنظيرها فى سورة النساء

(١) فى الاصل : عليه .

(٢) سبق ترجمته .

(٣) البيت : فى الامالى لابي على القالى ١/١٢٩ ، وجاء على النحرالتالى : «فلا تنكحن» جارة ... وهو من بحر
الطويل .

(٤) سبق ترجمته .

(٥) أول معلقة لبيد ، انظر جمهرة اشعار العرب ، للقرشى ، ص ١٢٩ ، وهى من بحر الكامل .

(٦) سبق ترجمته .

(٧) انظر ديوان امرئ القيس ، ص ١٠٦ ، والجمهرة لابن دريد ١/٨٢ ، والبيت من بحر الطويل ، وجاء على هذا النحو
... والا يحسن اللهو أمثلى .

(٨) زيادة من الهامش .

(٩) سورة البقرة : الآية ٢٥٦ .

حيث يقول : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ (١) ، يعنى فى طاعة الشيطان ، فهذا مذكر .

٢- الوجه الثانى من الطاغوت : يعنى الأوثان ، فذلك قوله فى سورة الزمر يقول : ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ (٢) ، يعنى الذين اجتنبوا عبادة الأوثان؛ فجماعة الأصنام مؤنثة .

٣- والوجه الثالث من الطاغوت : فقد جاء فى الرواية أنه يعنى به كعب ابن الأشرف اليهودى (٣) الذى قتلته رسول الله ، صلى الله عليه وعلى اله ١٦١ظ / وسلم / فذلك قوله فى سورة البقرة : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ﴾ (٤) ، فهذا جماعة ، فافهم ذلك إن شاء الله (٥) .

تفسير معنى خوف موسى :

٥- وسالت عن قوله ، عز وجل ، : ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ (٦) ، فقلت : كيف خاف ، صلوات الله عليه ، فى ذلك المقام العظيم ؟ وقد علم أن الله ، عز وجل ، لا يخذله فيه ، وهو ولى الله ورسوله ، صلى الله عليه ١٩ . .

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما (٧) : إنما خوف موسى ، صلى الله عليه ، على قومه أن يُفْتَنُوا ، لما عاينوا من فعل السحرة ، أو أن يسبق إلى قلوبهم أن حركة الحبال والعصى على حقيقة ، إذ ليس لهم مثل بصيرة موسى ، صلى الله عليه ، فاما

(١) سورة النساء : الآية ٧٦ .

(٢) سورة الزمر : الآية ١٧ .

(٣) كعب بن الأشرف الطائى ، من بنى نيهان : شاعر جاهلى . كانت امه من «بنى النضير» فدان باليهودية . وكان سيداً فى اخواله . يقيم فى حصن له قريب من المدينة ، أدرك الإسلام ولم يسلم . وأكثر من هجاء النبى ، ﷺ ، واصحابه ، كما قام بتحريض القبائل عليهم وإهذائهم ، والتشبيب بنسائهم . وحرص قريش والأحزاب بعد «بدر» ودعاهم للثار من المسلمين ، فامر النبى ، ﷺ ، بقتله ، فقتله نفر من الأنصار فى حصنه بالمدينة . انظر ترجمته فى الاعلام ٣٢٥/٥ ، وكذلك الروض الانف ١٢٣/٢ ، وابن سلام الجمحى فى الطبقات ، ص٢٣٨ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٥٧ .

(٥) انظر يحيى بن الحسين : الرد على ابن الحنفية ، ٢١٣/٢ .

(٦) سورة طه : الآية ٦٧ ، وقارن بالكشاف ، ٧٤/٢ .

(٧) فى الاصل : عليه .

هو صلوات الله عليه ، فقد كان واثقاً عالماً أن الله ، جل ثناؤه ، لا يخذله ولا يشمت به عدوه ، وأن أعداءه لا يظهرون عليه فى ذلك المقام الشريف .

معنى المكر:

٥١- وسألت عن قول الله - سبحانه - : ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾^(١) ، فقلت : كيف مكر الليل والنهار ، وهل لهما مكر ١؟ ..

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : إنما عنى ، تبارك وتعالى ، مكرهم بالليل والنهار الذى حاق بهم ، ولو كان مكر الليل والنهار الذى حاق بهم ، بأنفسهما ، لم يجز فى العدل أن يؤاخذهم بفعل غيرهم ، وهذا جائز فى لغة العرب ، يقول : الرجل : أَكَلُ اللَّيْلِ يَضُرُّنِي ، وشرب الليل يتعبنى ، وسهر الليل يتعبنى^(٢) .

وإنما المعنى فى ذلك كله ، أنه يقول : أكلى بالليل وشربى وسهرى ؛ لا أن لليل فعلاً يطالب به آدمى ، قالت خنساء الأسلمية^(٣) تذكر ناقة فقدت ولدها ، وأن جزعها على أخيها صخر كجزع الناقة على ولدها :

ترعى إذا نسيت حتى إذا ذكرت
لإنما هى إقبال وإدبار^(٤)

تقول إنما الناقة مقبلة ومدبرة فسيرتها إقبالاً وإدباراً ، ومثله قول أعشى بكر :

جياذك فى الصيف فى نعمة
تصان الجلال وتعطى الشعير^(٥)

يريد تصان بالجلال ، فأضمره .

(١) سورة سبا : الآية ٣٣ . انظر الكشاف ، ٣/ ٥٨٥ .

(٢) فى الاصل : يعنى .

(٣) تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد ، الراحبة السلمية ، من نبي سليم ، من قبىس عيلان ، من معنى ، أشهر شواعر العرب وأشعرهن على الإطلاق ، أدركت الإسلام فأسلمت ، واجود شعرها فى رثاء أخويها (معاوية وصخر) ، عرفت بالصبر والثبات وظهر ذلك جلياً بعد استشهاد ابنتائها فى القادسية ، ولها ديوان شعر مطبوع .. انظر الاعلام ، ٨٦/٢ ، وشرح الشواهد ، ص ٨٩ ، واعلام النساء ، ١/ ٣٠٥ .

(٤) البيت فى الديوان ، ص ٤٨ طبعة دار صبار ببيروت ١٩٦٣ م على النحو التالى :

ترقع ما رتعت ، حتى إذا ذكرت
لإنما هى إقبال وإدبار .

(٥) البيت فى الامالى ١/ ٧٥ ، وهو من بحر المتقارب ، وقد جاء عند المؤلف «وحيال» وهو خطأ .. وكذلك «تعطى» بدلاً من تنطى «فى الامالى ، وهو على النحو التالى :

جياذك فى الصيف فى نعمة
تُصانُ الجلال وتنطى الشعير .

معاني النظر في القرآن الكريم :

٥٢- وسألت عن قول الله ، عز وجل : ﴿ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾^(١) ، فقلت : ما

معنى النظر فى هذا الموضوع ؟

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليه : النظر ثلاثة وجوه :-

١- نظر البصر : وذلك لا يجوز على الله ، تبارك وتعالى .

٢- ونظر العلم والذكر ؛

٣- ونظر العطف ، كقول الرجل للرجل : انظر الله إليك ؛ أى أحسن الله إليك .

ونظر العلم فهو ما يكون من العلوم مثل / نظر العين والذكر ، فنقول : ذكرنى فلان بخير ، أى أحسن بى الظن^(٢) ، انظر إلى نظر الله إليك ، أى بخير مثله ، ويقول الرجل لصاحبه : لا سمع الله لك . والله ، عز وجل ، يسمع ، وإنما يعنى به الداعى ، لا استجاب له دعاءه ، وكذلك قوله : سمع الله لمن حمده . والله ، عز وجل ، يسمع من يحمده ومن لم يحمده^(٣) .

قال الشاعر :

دعوتُ الله حتى خفتُ أن لا يكون الله يسمع ما أقوله^(٤)

يعنى أن لا يستجيب لى دعائى .

الكبائر فى كتاب الله :

٥٣- وسألت عن الكبائر التى توجب النار .

قال أحمد بن يحيى ، رضى الله عنه : فى كتاب الله ، تبارك وتعالى ، أربعة عشرة كبيرة من أتى واحدة منها ، ثم مات غير تائب دخل النار .

١- فأولهن الشرك بالله ، عز وجل ، وذلك قوله ، عز وجل ، فى سورة الحج : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَفَطَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ لِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾^(٥) .

(١) سورة آل عمران : الآية ٧٧ .

(٢) بالهامش : فى النسبة القطر .

(٣) انظر القاسم : المسترشد ، ص ٥٧ ، ٦٩ بتحقيقنا .

(٤) البيت : لم أجده .

(٥) سورة الحج : الآية ٣١ .

٢- والثانية أكل أموال اليتامى ، وذلك قوله ، تعالى : فى سورة النساء : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا ﴾ (١٠) ﴿ (١) .

٣- والثالثة أكل الربا : قال الله ، عز وجل ، : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ (٢) .

٤- والرابعة قذف المحصنات : وذلك قوله ، عز وجل ، فى سورة النور : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢٣) ﴿ (٣) .

٥- والخامسة الفرار من الزحف : وذلك قوله ، عز وجل ، فى سورة الأنفال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمْ الْأُدْبَارَ ﴾ (١٥) .. إلى آخر الآية ﴿ (٤) .

٦- والسادسة التعرب بعد الهجرة : وذلك قوله ، سبحانه ، فى سورة محمد ، صلى الله عليه ، : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ ﴾ (٢٥) ﴿ (٥) .

٧- والسابعة قتل المؤمن : وذلك قوله ، عز وجل ، فى سورة النساء : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (٩٣) ﴿ (٦) .

١٦٢ ظ / ٨- والثامنة / عقوق الوالدين : وذلك قوله ، سبحانه ، فى سورة بنى إسرائيل : ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (٢٣) ﴿ (٧) ، ثم ذكر بعد ذلك فى سورة الأنعام ، وذلك قوله ، عز وجل ، : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ الْأَشْرَكَ بِهِ شِئْنَا وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا ... ﴾ (٨) .

٩- والتاسعة استغناء الرجال بالرجال : وذلك قوله تبارك وتعالى ، فى الشفاء على نبيه لوط ، صلى الله عليه ، وذكر قومه فى سورة الشعراء ، حين يقول : ﴿ أَتَأْتُونَ

(١) سورة النساء : الآية ١٠ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٧٥ .

(٣) سورة النور : الآية ٢٣ .

(٤) سورة الأنفال : الآية ١٥ .

(٥) سورة محمد : الآية ٢٥ .

(٦) سورة النساء : الآية ٩٣ .

(٧) سورة الإسراء : الآية ٢٣ .

(٨) سورة الأنعام : الآية ١٥١ .

الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴿١﴾، ثم ذكر ما نزل بهم في سورة هود ، صلى الله عليه ؛ وذلك قوله ، عز وجل ، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِنْ سِجِّيلٍ مُنْضُودٍ ﴿٨٦﴾﴾ ﴿٢﴾ .

١٠- العاشرة الزنا : وذلك قوله ، سبحانه ، في سورة بنى إسرائيل : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ ﴿٣﴾ .

١١- والحادية عشرة شهادة الزور : وذلك قوله ، سبحانه ، في سورة الفرقان : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ ﴿٤﴾ .

١٢- والثانية عشرة كتمان الشهادة : وذلك قوله ، عز وجل ، في سورة البقرة : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ ﴿٥﴾ .

١٣- والثالثة عشرة الفساد في الأرض : وذلك قوله ، تبارك وتعالى ، في سورة المائدة : ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ ﴿٦﴾ .

١٤- والرابعة عشرة إيذاء المؤمنين : وذلك قوله ، سبحانه ، في سورة الاحزاب : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ ﴿٧﴾ .

الفاقع الشديد الصفرة :

٥٤- وسألت عن قول الله ، عز وجل ، ﴿فَاقِعُ لُوثَهَا﴾ ﴿٨﴾ . فقلت : وما الفاقع في الكلام ؟ ..

(١) سورة الشعراء : الآيتان ١٦٥ - ١٦٦ .

(٢) سورة هود : الآية ٨٢ .

(٣) سورة الإسراء : الآية ٣٢ .

(٤) سورة الفرقان : الآية ٧٢ .

(٥) سورة البقرة : الآية ١٤٠ .

(٦) سورة المائدة : الآية ٣٣ .

(٧) سورة الاحزاب : الآية ٥٨ .

(٨) سورة البقرة : الآية ٦٩ .

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، الفاعع فى لغة العرب الشديد الصفرة ، تقول العرب : أصفر فاعع ، وأبيض يقق ، ولهق أيضاً ، وأخضر ناضر ونضر / وأحمر قان وناضر ، وأسود حالك وحابك ، معروف كل ذلك فى اللغة غير مستنكر ، قال الله ، عز وجل ، : ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاطِرِينَ ﴾ (١) .

هل خلق الله أفعال عباده ١٩..

٥٥- وسألت ما الدليل على أن الله ، تبارك وتعالى ، لم يخلق أفعال العباد وأن فعل العباد غير مخلوق من رب العالمين ؟

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : الدليل على ذلك من كتاب الله ، سبحانه ، ومن الاحتجاج بالحق الواضح الثابت فى العقول ، من ذلك قوله ، عز وجل ، : ﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (٢) ، لما كان ظلم العباد ليس بمتقن علمنا أنه ليس من صنعه . ، وقوله ، عز وجل ، : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٣) .

ونحن نعلم أن الله ، عز وجل ، خلق الأنعام ، وإنما نفى (٤) عن نفسه جعل ما جعلوه ، والشق الذى جعلوه فى آذان الأنعام ، فعلمنا أن الذى نفاه الله عن نفسه هو كفر العباد .

وقال ، عز وجل ، : ﴿ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ ﴾ (٥) .

فلما كان الكفر متفاوتا متناقضاً ، علمنا أن الكفر ليس من خلقه ، وقال ، عز وجل ، : ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ السَّلَاطِي تَظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ (٦) .

وقال ، عز وجل ، : ﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٧) ، فهو ، عز وجل ، لم يتبرأ من

(١) الهامش السابق .

(٢) سورة النمل : الآية ٨٨ .

(٣) سورة المائدة : الآية ١٠٣ .

(٤) فى الاصل : نفا .

(٥) سورة الملك : الآية ٣ .

(٦) سورة الاحزاب : الآية ٤ .

(٧) سورة التوبة : الآية ٣ .

خلقهم ولا من موتهم ولا من حياتهم ، وإنما برئ من فعلهم ، وفى هذا الباب أدلة كثيرة يطول بها الشرح ، وفيما ذكرنا لك كفاية ، إن شاء الله .

النفس :-

٥٦- وسألت عن قول الله ، عز وجل ، ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾^(١) ، وقلت : إنما النفس تكون للمخلوقين ١٩ ..

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : معنى ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ يعنى إياه ، وذلك موجود فى لغة العرب^(٢) ؛ يقول الرجل : نزلت فى نفس الجبل ، أى فى الجبل ، وفى نفس الوادى ، وليس للوادى نفس ولا للجبل ، وتقول أيضاً : هذا نفس الخبير ، وليس للخبير نفس ، وكذلك : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾^(٣) ، يقول : تعلم ما فى نفسى ، ولا أعلم ما عندك . وقال الأعشى البكرى فى نحو ذلك .
يوماً بأجود نائل منه إذا نفس البخيل تجهمت سؤالها^(٤)

١٦٣ ظ / والنفس لا تجهم السؤال ، وإنما المتجهم الرجل ؛ لأنه يدعى أن البخيل يتجهم سؤالها له .

هل يكون من لا إيمان له ، له إيمان قليل؟

٥٧- وسألت عن قول الله ، عز وجل ، ﴿ فَمَلِئاً مَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٥) ، وقلت كيف / يخرج هذا القول حيث قال : ﴿ فَمَلِئاً مَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٦) ، وهم لا إيمان لهم من الاصل ، وقد صبره قليلاً ١٩ ..

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : يجوز ذلك على نحو قولك للرجل الذى تخاطبه ، وهو لا خير عنده البتة : ما أقل خيرك . جائز فى اللغة ، وكقولك : ما أقل راحة أهل النار . تريد لا راحة لهم البتة ، وكقولك : ما أقل الناس فى

(١) سورة آل عمران : الآية ٢٨ .

(٢) انظر القاسم : كتاب العدل والتوحيد ونفى التشبيه ، ١/١٣٨ ، والمسترشد ، ص ٢٩ ، بتحقيقنا .

(٣) سورة المائدة : الآية ١١٦ .

(٤) البيت فى ديوانه ، ص ٢٤ .

(٥) سورة البقرة : الآية ٨٨ .

بلد كذا كذا . وهى بلد ليس بها إنسان واحد . وقال عمرو بن معدى كرب (١) فى نحو ذلك :

وكم من غابط من دون سلمى قليل الأنس له به كتيع (٢)

فقال : الأنس فنسبه إلى القلة ، ثم قال : ليس به كتيع ، يعنى ليس به إنسان واحد .

ومن ذلك قول النبى ، صلى الله عليه وعلى آله ، فى حديث ابن مسعود ليلة وفد الجن ، : «لو أطاعونا لدخلوا الجنة أجمعين أكتعين» (٣) ، وقالوا - يعنى باكتعين - : إنه لا يتفادر منهم صغير ولا كبير ، ذكر ولا أنثى .

كيف يصرف الله عن آياته؟

٥٨- وسألت عن قول الله ، عز وجل ، ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (٤) ، والآيات فدلالة وهدى ونور . كيف جاز أن يصرف الله ، تبارك وتعالى ، عن آياته الخلق ، وهو الذى دعاهم إليها وإلى قبولها ١٩ .

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : ليس المعنى حيث ذهبت ، ولا كما توهمت من أنه ، عز وجل ، يصرف عن آياته عباده من طريق الصدِّ لهم والصرف (عن) (٥) اتباعها ، وإنما المعنى (٦) أنه ، جل ثناؤه ، يصرف أعداءه والمفسدين فى أرضه عن

(١) عمرو بن معدى كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدى : فارس اليمن ، وصاحب السفارات المذكورة ، وفد على المدينة سنة ٩ هـ ، فى عشرة من بنى زبيد ، فأسلم وكذلك قومه أسلموا وعادوا . ولما توفى النبى ، صلى الله عليه وسلم ، ارتد عمرو فى اليمن ، ثم رجع إلى الإسلام ، فبعثه أبو بكر إلى الشام ، فشهد اليرموك ، وذهبت فيها إحدى عينيه ، وبعثه عمر إلى العراق شهد القادسية . وكان عصى النفس ، ابنيها ، فيه فسوة الجاهلية ، يكتى أبانور ، وأخبار شجاعته كثيرة ، له شعر جيد أشهره قصيدته التى يقول فيها :

«إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع . انظر ترجمته فى الاعلام ٨٦/٥ ، وانظر كذلك طبقات ابن سعد ٣٨٣/٥ ، وسط الآلى ، ص ٦٣ و ٦٤ .

(٢) البيت : فى الكامل للمبرد ، ص ٦٥٧ ، ٨٧٥ .

(٣) حديث الجن فى البخارى ٢٠٨/٧ (كتب مناقب الأنصار ، باب ذكر الجن) حديث رقم ٣٨٥٩ ، ٣٨٦٠ ، وأبو داود ٩/١ (كتاب الطهارة ، باب ما ينهى عنه أن يستنجى به) حديث رقم (٢٦) ، والترمذى ٣٥٦/٥ (كتاب تفسير القرآن ، باب ٤٦ سورة الاحقاف) حديث رقم (٣٢٥٨) ، وأحمد فى مسنده ٥٤٨/١ .

(٤) سورة الاعراف : الآية ١٤٦ .

(٥) زيادة من الهامش .

(٦) فى الاصل : المعنا .

إبطال آياته وإفسادها ، وإدخال العيب فيها ، بما اظهر من دلائلها وعجائبها ومحجها ونورها وبراهينها العظيمة ، قولك الرجل : سامنك من فلان ، أى امنك من أذاه ، وإدخال المكروه عليه ^(١) ، وذلك جائز فى اللغة .

التزيين ١١

٥٩- وسألت عن قول الله ، عز وجل ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَمْهُونَ ﴾ (٤) ^(٢) ، وقلت : كيف مخرج التزيين ها هنا ؟

قال أحمد يحيى ، عليهما السلام : هذه المسألة تخرج على وجهين وكلاهما حسن ، /

١- أما أحدهما : فإنه يقول : زينا لهم أعمالهم من الطاعات ، فتركوها وهم يعمهون .

٢- وأما الوجه الآخر : فإنه يجوز على الإمهال ، كنعو ما تقول العرب : أنا الذى زينت لك عملك ، وأنا الذى أفسدتك ، وهو لم يزين له عمله ، ولم يفسده ؛ ولكنه أمهله ، ولم يغير عليه ولم يمنعه ، فكان تركه له وإمهاله إياه مزينا له فعله ، إذا لم يحل بينه وبينه ، ولم يمنعه ، ولو منعه لم يكن من ذلك شئ . فالله ، عز وجل ، لم يفسد / ١٦٤ / يقسر العباد على الطاعة قسراً / ولم يمنعه من المعصية جبراً ، ولو فعل ذلك ، سبحانه ، ماجاوز أحد أمره ، ولكنه أمر تخبيراً ونهى ^(٣) تحذيراً ، فلم يُطع كرهاً ولم يعص مغلوباً ؛ ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٤) ^(٤) ؛ وإنما مخرج زينا على مجاز الكلام .

وقال ، جل ثناؤه ، : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ السُّرَّاشِدُونَ ﴾ (٧) ^(٥) ، يعنى بالتحبيب والتكريم والامر والنهى ، وما وعدوا وأوعدوا من الجنة والنار ، لا جبراً على طاعته ولا على معصيته ، عز الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ^(٦) .

(١) قارن بالكشاف ، ٢ / ١٥٨ .

(٢) سورة النمل : الآية ٤ .

(٣) فى الاصل : نه .

(٤) سورة الانفال : الآية ٤٢ .

(٥) سورة الحجرات : الآية ٧ .

(٦) انظر فى كتاب الرد على ابن الحنفية : المسألة الثامنة عشرة : هل يزين الله لعباده بالإرادة دون الامر ٢ / ٢٠٥ .

٦٠- وسألت عن قوله ، عز وجل ، ﴿ ثُمَّ أَدْنَىٰ أُمَّةً لِّمِثْلِ لِسَارِقُونَ ﴾ (٧٠) ﴿ (١) ،
وقلت : كيف جاز ليوسف ، صلى الله عليه ، أن يرمى بالسرقة ، من قد علم أنه (لم)
يسرق صواعه ١٩ ..

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : قد قيل فى هذه المسألة بجوابات كلها تجوز فى
لغة العرب ، وثبت العدل والبراءة ليوسف ، صلى الله عليه ، من الظلم والإثم :
من ذلك أنا ذاكره ، فافهمه إن شاء الله .

١- أما الوجه الاول فقالوا : إنه يجوز أن يكون المنادى نادى (٢) بغير أمر يوسف ،
صلى الله عليه ، فحكى الله ، عز وجل ، عن المنادى .

٢- وإما أن يكون أمر بوضع الصواع فى الرحل ، بغير علم المنادى الذى ناداهم
بالسرقة ، فلا يكون المنادى تعمد كذباً .

٣- وذكر عن أمير المؤمنين على ، صلوات الله عليه ، أن يوسف ، صلوات الله
عليه ، أمر المنادى بذلك ، وأضمر فى نفسه : إنكم لسارقون لى ، سرقتمونى من أبى ،
وطرحتمونى فى الحب ؛ وهذا حسن .

٤- وقول آخر قال : إن يوسف ، صلى الله عليه ، قال هذا على الاستفهام ، إنكم
لسارقون ؟ ، على معنى : ﴿ وَذَا السُّنُونُ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ (٣) على
طريق الاستفهام ؛ لأن نبي الله ، صلى الله عليه ، لا يظن أن الله ، عز وجل ، لا يقدر
عليه ، والعرب تستفهم بغير ألف فى كلامها ، قال الشاعر .

لعمرك ما أدرى وإن كنت دارياً شعيب بن سهم أم شعيب بن منقر (٤)

يريد شعيب بن سهم بن منقر .

فكل هذا قد قيل فى تفسير هذه الآية ، وقول أمير المؤمنين أحسنها عندى ، وكلها
حسن جائز ، وقد أعلمتك بما قال أهل العلم فيها ، فافهم ذلك موفقاً ، إن شاء الله .

(١) سورة يوسف : الآية ٧٠ .

(٢) فى الأصل : نادا .

(٣) سورة الانبياء : الآية ٨٧ .

(٤) البيت للأسود بن يعفر ، انظر الكامل ٣٨٠ ، ٥٣٧ ، والخزانة ٤ / ٤٥٠ ، والعينى ٤ / ١٣٧ ، ٣ / ١٧٤ ، والاشموني

فى ٣ / ١٠١ ، ١٠٢ ، وسيبويه ، ٣ / ١٧٤ .

وإنما أراد يوسف ، صلى الله عليه ، بوضع الصواع في رحل أخيه لياخذ به من إخوانه ؛ لانه لم يكن يمكنه في دين الملك أن ياخذه ، والانبيا ، صلوات الله عليهم ، ١٦٤ ظ / فلا تفعل فعلاً إلا بأمر الله ، عز وجل ، / وذلك قوله ، سبحانه ، ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ (١) ، فكل فعل من ذلك بأذن الله ، لان إذن الله ، عز وجل ، هو أمره ، فهذا هو الحجمة (و) (٢) الحجمة البينة في هذا الباب .

وما أمر الله به ، فلا عيب فيه ، ولا إثم ولا كلام لمتكلم ، قوله الحق وأمره الصدق ، لا إله إلا هو العلي العظيم (٣) .

هل ما كان في بدر جبر من الله للطرفين ؟

٦١- وسألت عن الجواب للمجبرة في قولهم : إنه لم يكن سُدُّ لقريش من الخروج إلى بدر في حرب رسول الله ، ﷺ ، فإن قال لهم أهل العدل : بلى (٤) ، قد كان لقريش بدٌّ من الخروج ، لو أرادوا ذلك .

قالت المجبرة لأهل العدل : فإذا يلزمكم ان الله يخلف قوله ، في قولكم ، وأنتم تقولون إن الوعد والوعيد بشئ لا ينتقض ولا يخلف ، نلزمكم أنه يخلف وعده ، في قوله للنبي ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وإصحابه : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ﴾ (٥) ، وهذه يلزمكم لنا انه لم يكن بدٌّ لقريش من الخروج إلى بدر ، في حرب رسول الله ، صلوات الله عليه وعلى آله .

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليه : إن الله ، تبارك وتعالى ، إنما أخبر عنهم أنهم يختارون الخروج إلى بدر ، وعلم أنهم يفعلون ذلك ، وليس علمه بذلك يدخلهم في معصيته له ، ولا يخرجهم من طاعة ، فأخبر بما يختارون .

(١) سورة يوسف : الآية ٧٦ .

(٢) ليست بالأصل .

(٣) انظر في تفسيرها الكشاف ، ٢ / ٤٩٠ ، وابن كثير ، ٢ / ٥٣٢ ، ولم يشر إلى ما اشار إليه الإمام أحمد فليتأمل .

(٤) في الاصل : بلى .

(٥) سورة الانفال : الآية ٧ . وانظر الكشاف ، ٢ / ١٩٩ .

والجواب لهم في ذلك^(١)، أن يقال لهم : ليس قد رويتم في كتبكم وأخباركم، أن هذه الآية نزلت في أبي طالب بن عبد المطلب^(٢) حيث قال الله ، عز وجل ، : ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢٦) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكَذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا .. إلى آخر الآية ﴿ (٣) .

فقد أخبر الله ، عز وجل ، عن أبي طالب ، وعن وقوفه على النار ، كيف يكون ، كما رويتم ، أنتم وغيركم ، ثم رويتم أيضاً أن رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله ، قال عند المـسوت : « يا عمُّ قل لا إله ، وأقر أنى رسول الله ، صلى الله عليه ، وأضمن لك على الله الحجة^(٤) ..

فيقال للمجبرة : فما تقولون لو أسلم أبو طالب في ذلك الوقت ، راجاب النبي ، صلى الله عليه ، إلى ما أراد ، هل كان ينفعه إسلامه ، كما قال له رسول الله ، صلى الله عليه^(٥) ، أو لم يكن ينفعه ١٤ ..

فإن قالوا : لم يكن ينفعه إسلامه ، جهلوا رسول الله ، صلى الله عليه ، وخطبوا فعله وأفسدوا ضمانه ، وقد قال الله ، عز وجل ، : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (٦) ، وقال : ﴿إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ (٧) . وإن قالوا : بلى ، قد كان ينفعه إسلامه ، لو ١٦٥ و/ أسلم . / وجب عليهم أن وعد الله ، عز وجل ، ينتقض ، وأن وعده يخلف ! .. لا بد لهم أن يقولوا أحد القولين ، وفي ذلك فساد قولهم ، وبطلان دعواهم .

(١) هذه المسألة تناقش عدة قضايا منها خلق أفعال العباد ، والوعد والوعيد ، وعلم الله وعلاقته بمضائه وقدره ، فإرن ما ذكره أحمد بما سبق ذكره الهادى فى الرد على ابن الحنفية فى المسألة السادسة عشرة : هل كان المسلمون ، وكذلك المشركون يستطيعون عدم الخروج للقتال يوم غزوة بدر ٢ ج٢ / ٢٤٢ / ١٩٢ .

(٢) هو عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم ، القرشى ، عم النبي ، ﷺ ، نصر النبي ، وأذره ، وحماه من اذى قريش حتى مات سنة ٣هـ ، ولكنه لم يسلم خشية معايرة قومه ، وحزن النبي لموته على دين آباهه ، فسلاه ، عز وجل ، وبين له ان الهداية منه وحده ، فقال له : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ سورة القصص / ٥٦ . انظر الاعلام / ٤ / ١٦٦ ، وكذا طبقت ابن سعد / ١ / ٧٥ ، وابن الاثير / ٢ / ٣٤ .

(٣) سورة الانعام : الآيات ٢٦ - ٢٧ . وانظر الكشاف ، ١٣ / ٢ ، ١٤ .

(٤) الحديث فى البخارى / ٢٦٣ (كتاب الجنائز ، باب إذا قال المشرك عند موته : لا إله إلا الله) حديث رقم ١٣٦٠ ، وفى مواضع اخرى منه ، ومسلم / ١ / ٢١٤ (كتاب الإيمان ، باب وفاة أبى طالب) حديث رقم (٣٩ - ٢٤) ، والترمذى ٣١٨ / ٥ (كتاب التفسير باب ٢٩) حديث رقم (٣١٨٨) ، وكذلك النسائى فى كتب الجنائز ، باب ١٠٢ ، وابن سعد ج١ القسم الاول ، ص ٧٧ - ٧٩ ، وأحمد / ١ / ٢٢٧ ، ٣٦٢ ، وغيرها من مستنده .

(٥) فى الاصل : صلى الله .

(٦) سورة النجم : الآية ٣ .

(٧) سورة الانعام : الآية ٥٠ .

لأنهم إن زعموا أن قول النبي ، صلوات الله عليه ، ضمانته لأبى طالب أمر فاسد لا يصح . خطبوا النبي وكفروا . وإن قالوا : إن ضمانه صحيح بطلت دعواهم فى قولهم : إن وعد الله يخلف فى قول أهل العدل ، لقول الله ، عز وجل ، ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ (١) . فهذا الجواب ، فافهمه وقف عليه ، إن شاء الله .

ترى المجبرة أن كل ما وجد كان مكتوباً ،

سواء كان كونى أو فعلاً واختياراً للإنسان

٦٢- وسالت عن قول الله ، عز وجل : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٢٦) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴿ (٢) .

فقلت : فيقول القائل : وإى مصيبة اعظم من المصيبة فى الدين ، فإن المصيبة مكتوبة على العباد ١٩ ..

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : لعمر الله ، إن المصيبة فى الدين لأعظم المصائب ، ولكن الله ، عز وجل ، لم يعن بذلك الضلالة ولا الهدى ، لقوله : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ (٣) ، فلو كانت هذه الآية فى الأعمال لم ينبغ (٤) للعبد إذا اطاع الله ، عز وجل ، وأحسن العمل أن يفرح ، ولا إذا عصى (٥) أن يحزن . وكان ذلك منه خطأ وعصيان لله ، أن يفرح بما أوتى من خير فى دينه ، أو أن يحزن على ما ضيع وفاته من دينه ؛ لأن الله فى قولهم قد نهى (٦) عن ذلك ، وإذا لا ينتقض قوله ، ولا اختلف (٧) كتابه : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (٨٢) ﴿ (٨) ، ولخالف هذه الآية التى ذكرتم هذه الآية التى أنا ذاكرها ؛ حيث

(١) سورة الأنعام : الآية ٢٦ .

(٢) سورة الحديد : الآية ٢٣ .

(٣) سورة الحديد : الآية ٢٣ .

(٤) فى الاصل : ينبغى .

(٥) فى الاصل : عصا .

(٦) فى الاصل : نها .

(٧) فى الاصل : واختلف .

(٨) سورة النساء : الآية ٨٢ .

يقول، تبارك وتعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (١)، وقال، عز وجل: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جِزَاءَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٨٢) ﴿٢﴾.

وليس وجه هذه الآية (التي ذكرت) (٣) على ما وضعوه عليه هم، إنما عنى (٤) الله، عز وجل، فى هذه الآية المصيبات التى يصيب به عباده فى النفس والأولاد والأموال والثمرات، وما سخر لهم من الأشياء التى سخرها لهم به أعلمهم (٥) قبل نزول المصيبة بهم، سوف يتليهم، وعلمهم كيف يقولون عند المصيبة، إذا نزلت بهم، وما لهم فيها من الأجر إذا صبروا، وقالوا القول الذى علمهم؛ وقال: ﴿وَلَتَلْبَسُنَّكُمْ بُشًىءٌ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)﴾ (٦).

١٦٥ / يقول، سبحانه، إنما علمناكم / ما تقولون، وبيننا لكم ما لكم فى ذلك من الأجر، والثواب، لكيلا تأسوا عند البلاء على ما فاتكم، ولا عند المصيبة تجزعوا، تسليماً لأمر الله، تبارك وتعالى.

ولو كان الأمر على ما توهموا، ما كان ينبغى لمن صلى وصام وحج وجاهد وفعل الخير أن يفرح، ولا من زنا وسرق وشرب الخمر وقتل النفس الحرام وعصى (٧)، عز وجل، أن يحزن على معصيته! ..

ولكن الناس تركوا الحق وأهله، واتبعوا أهواءهم، وقلدوا أمر دينهم من أضلهم وأغواهم، وقد أمروا فاعرضوا، وزجروا فلم ينتهوا: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (٢٢٧) ﴿٨﴾.

(١) سورة يونس : الآية ٨٢ .

(٢) سورة التوبة : الآية ٨٢ .

(٣) زيادة من الهامش .

(٤) فى الاصل : عنا .

(٥) فى الاصل : اعمالهم .

(٦) سورة البقرة : الآيات ١٥٥ - ١٥٧ .

(٧) فى الاصل : وعصار .

(٨) سورة الشعراء : الآية ٢٢٧ .

وأما الكتاب الذى ذكرت ها هنا ، فهو العلم ؛ لان الله ، عز وجل ، لا يحتاج إلى الكتاب .

معنى الصلاة شطر المسجد الحرام :-

٦٣- وسألت عن قول الله ، عز وجل : ﴿ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾^(١) ، فقلت : ما معنى هذا الكلام ، فإنى لا أدرى ما معنى^(٢) الصلاة إلى شطره دون كله ، وأى الشطرين أفضل إذا صليت ١٤ ..

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما : ليس الأمر على ما توهمت ، ولا على ما ظننت ، وإنما المعنى فى الشطر الكل ، وذلك جائز فى لغة العرب ، وتعنى العرب بالشطرن النحو ، فنحو^(٣) الشئ عندها شطره ، ألا تسمع إلى قول زهير بن أبى سلمى^(٤) حيث يقول :

وعارضٌ عمه بوراقه شطراه ربيعٌ وشطره بردٌ^(٥)

يريد نحوه ربيع ، ونحوه برد ، ولو لم يكن على ما ذكرنا لك ، لوجب أنه أثبت له ثلاثة شطور ، وهذا ما لا يجوز ، ولا يعقل فى عجمية ولا عربية أن يكون للشئ ثلاثة شطور ، وقال خفاف بن ندبة^(٦) مثل ذلك :

ألا من مبلغ عمراً رسولاً وما تغنى الرسالة شطر عمر^(٧)

(١) سورة البقرة : الآية ١٥٠ .

(٢) فى الأصل : لا أهدرى ما معنا .

(٣) فى الأصل : فخوا .

(٤) زهير بن أبى سلمى ربيعة بن رباح المزنى ، من مضر : حكيم الشعراء فى الجاهلية . وهو من أسرة كثر فيها الشعراء فابره وخاله وأخته وابناه شعراء ، له معلقة شهيرة مطلمها .

«أمن أم أو فى دننة لم تكلم» .. وله ديوان مطبوع .. الإعلام ، ٥٢/٣ ، والأغاني ، ٢٨٨/١٠ - ٣٢٤ ، ومعاهد التنصيص ، ٣٢٧/١ .

(٥) البيت : فى الديوان .

(٦) خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد السلمى ، من مضر ، أبو خرشة : كان أسود اللون ، وعاش زمناً فى الجاهلية ، وله أخبار مع العباس بن مرداس وهريد بن الصمة ، وادرك الإسلام فأسلم ، وشهد فتح مكة وكان معه لواء لبني سليم ، وحسن إسلامه ، وتوفى نحو سنة ٢٠ هـ . انظر ترجمته فى الاعلام ٣٠٩/٢ ، والأغاني ١٦/١٣٣ ، والإصابة فى تمييز الصحابة ٤٥٢/١ .

(٧) البيت : لم أجد فى المصادر .

يريد نحو عمرو ، وقال لقيط الإيادي (١) :

وَقَدْ أَظْلَكُمْ مِنْ شَطْرِ ثَغْرِكُمْ هَوْنٌ لَهُ ظَلَمٌ تَفْشَاكُمْ قِطْعًا (٢)

يريد من نحو ثغركم ، وهذا معروف في لغة العرب ، غير منكر ولا مجهول ، وإنما عنى بذلك البيت ، فأى جوانبه استقبلت فهو قبلة ، وليس من جوانبه ، إلا وبصرك يحيط بجميعة ، والله الحمد .

وإن كان بعضه بين عينيك ، ليس منه شيء داخلاً ولا ذاهباً من موضعه ، لو ستر بعضه بعضها ، فكله قبلة ونور وهداية لمن اهتدى به سبيل الله الهداية ، بمنه وفضله .

النسخ:

٦٤- وسألت عن قول الله ، سبحانه : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِخْهَا نَأْتِ بَخِيرٍ مِنْهَا أَوْرٌ مِثْلَهَا ﴾ (٣) ، وقلت : فإن قال القائل : أهو بعض القرآن خير من بعض ما نقول به ؟

١٦٦ و/ قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : المعنى في ذلك أنه يقول ، عز وجل ، خير لكم ، فيها تخفيف لكم ورخصة ، وليس بعضه خير من بعض ، بل كله في الفضل والشرف والقدر عند الله ، عز وجل ، سواء (٤) .

الفرح:

٦٥- وسألت عن قول الله ، عز وجل ، : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ (٥) .

قلت : ما معنى هذا ، والأنبياء ، صلوات الله عليهم ، والأئمة ، عليهم السلام ، والصالحون يفرحون ؟

(١) لقيط بن يعمر بن خارجة الإيادي شاعر جاهلي فحل ، من أهل الحميرة ، كان يحسن الفارسية . واتصل بكسرى «سليور ذى الأكتاف» وعندما أراد كسرى الغدر بإياد ، أرسل لقيط إليهم يحذرهم ، ولما علم كسرى قطع لسانه وقتله نحو سنة ٢٥٠ ق. هـ . انظر ترجمته في الاعلام ٥ / ٢٤٤ ، وكذلك الاغانى ٢٠ / ٢٣ ، ومختارات ابن الشجري ، الصفحة الاولى ، والشعر والشعراء ، ص ١٥١ - ١٥٤ .

(٢) البيت من قصيدة له ذكرها ابن الشجري في مختاراته ، ص ١١ . وذكر المحقق أنها في ديوانه المخطوط : ٤٢ (بدر لكتب برقم ١٨٤٥ أدب) ، واغانى ٢٠ / ٢٣ ، وفي الشعر والشعراء ، ص ١٥١ ، ١٥٢ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٠٦ .

(٤) انظر تفسير الآية في الكشاف ، ١ / ١٧٦ .

(٥) سورة القصص : الآية ٧٦ .

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : إنما عنى بالفرح فى هذا الموضع البطر والاشر ، وأن يفرحوا^(١) ولا يشكروا^(٢) .

هل يحتاج قارون توصية يأخذ نصيبه من الدنيا ،

٦٦- وسالت عن قوله ، عز وجل ، فى قصة قارون : ﴿ وَلَا تَسْأَلْهُنَّ مِمَّا نَدَبْنَاكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾^(٣) ، فقلت : كيف جاز أن يوصوه بالدنيا وهم يعظونه ، وكان هو أشد فى طلب الدنيا ، وأحرص عليها منهم وأشد رغبة فيها ١٩ ..

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين : إن قومه لم يأمره بطلب الدنيا والحرص عليها ، وإنما ذكره أنها طريق إلى الآخرة ، فأمره أن لا يذهب عمره فى معصية الله ، عز وجل ، لأن الدنيا فيها تكسب الجنة ، وقد سمعت قول أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه ، حيث سمع الرجل الذى ذم عنده الدنيا ، فصرخ به ، ثم قال : الدنيا موضع صدق لمن صدقها . مع كلام اختصرناه قد سمعته^(٤) .

مسألة العرش :

٦٧- وسالت عن قول الله ، عز وجل : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾^(٥) ، فقلت : كيف جاز^(٦) الاستواء فى التوحيد ، وما معناه ؟

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : الاستواء ها هنا الاستيلاء ، والعرش فهو الملك ، معروف ذلك فى لغة العرب وأشعارها ، من ذلك قول زهير بن أبى سلمى حيث يقول :

تَدْرَا كَتْمًا عَبَسًا وَقَدْ ثُلَّ عَرْشُهَا وَذِبْيَانٌ إِذْ زَلَّتْ بِأَقْدَامِهَا النَّمْلُ^(٧)

(١) فى الأصل : يفرحون .

(٢) انظر معانى الفرح عند ابن قتيبة : تأويل مشكل الحديث ، ص ٤٩١ ، ومنها فرح المسرّد ، وفرح الرضا ، والثالث الذى ذكره الإمام أحمد ، وانظر ابن كثير ، ٤٣٩/٣ .

(٣) سورة القصص : الآية ٧٧ .

(٤) انظر فى تفسير الآية ابن كثير ، ٤٣٩/٣ وهو لم يتعرض للإجابة على هذا السؤال ، ولكن فسرها على ظاهرها ، أما الزمخشري فقد اكتفى بقوله : « وهو أن تأخذ منها ما يكفيك ويصملك » . ٤٣١/٣ .

(٥) سورة الاعراف : الآية ٥٤ .

(٦) فى الأصل : مجاز .

(٧) البيت : فى شرح ديوان زهير بن أبى سلمى ، ص ١٠٩ طبع دار الكتب المصرية على النحو التالى .

تَدْرَا كَتْمَ الْأَحْلَافِ قَدْ ثُلَّ عَرْشُهَا .. وَذِبْيَانَ قَدْ زَلَّتْ بِأَقْدَامِهَا النَّمْلُ

وفيه شواهد كثيرة وكلام يطول ، ولجدي القاسم بن إبراهيم ، عليه السلام ، فى العرش والكرسى كلام^(١) بليغ . اجتزأنا عن التطويل فى جوابك هذا ، فانظر فيه إن شاء الله .

فى صفة اليد :

٦٨- وسالت عن قول الله ، عز وجل : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾^(٢) ، فقلت : ما معنى ذلك ١٩ ..

قال أحمد بن يحيى ، عليه السلام ، معنى قوله : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ ، يعنى نعمتاه مبسوطتان ، نعمته فى الدنيا ، ونعمته فى الآخرة ، وكذلك قوله : ﴿ .. خَلَقْتَ بِيَدَيْ ﴾^(٣) ، وقوله : ﴿ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا ﴾^(٤) ، يقول : مما توليته بنفسى ، والعرب تقول لمن تخاطبه : فى عنقك يا فلان لى يد ، يعنى نعمة لا أن فى عنقه له يد لازمة بكف وأصابع ، وقد قال ، سبحانه ، : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾^(٥) ، فهل يجوز فى العقول أن للمؤمنين عند الله ، عز وجل ، قدم مطروحة بعقب وأصابع ..! هذا ما لا يجوز فى العقول ولا يتوهمه مسلم^(٦) ، وقد قال الشاعر فى نحو ذلك /

١٦٦ ظ / تحملت من أسماء ما ليس لى به ولا للجبال الراسيات يدان

والجبال ليس لها أيدٍ ، فجاز هذا فى لغة العرب ، وإنما خاطبهم الله ، عز وجل ، بلغتهم التى يعرفون ، وإنما جاء الهلاك فى الدين ، والترك للتوحيد من جهل الخلق باللغة العربية .

ألا ترى أن العرب تقول : ما زلنا نطأ السماء ، حتى وصلنا إليكم من مسيرة أيام كثيرة ، وهذا الكلام عند من لا يفهمه غير جائز أن يكون أحد يطأ السماء ، وهو عند

(١) بالهامش : كتاب ، وهى رسالة مخطوطة ، منها مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٣ / ميكروفيلم ٣٤٥ علم كلام .

(٢) سورة المائدة : الآية ٦٤ ، وتفسير غريب القرآن ، ١٤٤ ، وانظر الكشاف ، ١ / ٦٥٥ - ٦٥٦ .

(٣) سورة ص : الآية ٧٥ ، وانظر الكشاف ، ٤ / ١٠٦ .

(٤) سورة يس : الآية ٧٠ ، وانظر الكشاف ، ٤ / ٢٧ ، ٢٨ .

(٥) سورة يونس : الآية ٢ .

(٦) انظر الكشاف ٢ / ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

العرب وأهل المعرفة صحيح جائز ؛ لأنهم يعنون بالسماء ها هنا الغيث ، أى لم يزلوا يطأونه حتى بلغوا إلى أصحابهم ، وقال الشاعر فى نحو ذلك :

وكان نفتحهُ وطيبُ نسيمِهِ عبُ السماءِ صريمةً مقفاراً^(١)

قال : عبُ السماءِ ، يعنى به ثانية الغيث ، أى اليوم الثانى من الغيث ، وقال الكميت بن زيد الأسدى^(٢) :

تصل السماء إلى السماء بصوت أسحم ذى ماجر

يعنى الغيث إلى الغيث ، فصيره سماء إلى سماء^(٣) .

المشبهة والعرش :

٦٩- وسألت فقلت : كيف الجواب لمن قال : إن الله ، جل ثناؤه ، على عرش مثل السرير .

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام ، يقول لهم : قال الله ، عز وجل ، : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ﴾^(٤) ، فوجدنا الفقير من احتاج إلى شئ ، من جميع الأشياء كلها ، صغيرها وكبيرها ، فهو غير غنى .

فيثبت على من قال : إن له عرشاً مثل السرير أنه محتاج ،

ومن زعم أنه محتاج إلى قليل أو كثير ، فقد أوجب أنه فقير ، ولزمه الكفر بقوله الله ، عز وجل ، : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ ﴾ ، لان من زعم أن الله ، عز وجل ، يشبه خلقه فى مجئ أو ذهاب أو صعود أو نزول أو حركة أو سكون أو عرش ، يستوى عليه كاستواء الملوك على أسررتها ، أو ملائكة تحمله كما يفعل الناس ، بحمل بعضهم لبعض ، أو أمر من جميع الأمور التى تلزم التشبيه ؛ فقد أوجب أنه فقير .

(١) البيت : لم أجده .

(٢) الكميت بن زيد بن خنيس الأسدى أبو المستهل : شاعر الهاشميين ، ولد ٦٠هـ . وعاش بالكوفة واشتهر فى العصر الاموى ، تمصب لبنى هاشم وقال فيهم شراً كثيراً ، وكان عالماً اديباً وتوفى ١٢٦ هـ . . . انظر ترجمته فى الاعلام ، ٢٣٣/٥ ، والمرزبانى ، ص ٣٤٧ ، وسبط اللائى ١١ ، لمبد المتعال الصميدى : الكميت بن زيد .

(٣) انظر قضية صفة اليد للبيدادى : اصول الدين ، ص ١١٠ وما بعدها .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٨١ ، وورد بها خطأ كثير .

ومن قال بذلك فقد كفر بالله العظيم والله ، تبارك وتعالى ، هو الغنى على الحقيقة لا على المجاز ، فكل غنى ، وإن عظم غناه لم يكن بغنى على الحقيقة ، وإنما هو غنى على المجاز .

١٦٧و / وذلك لو أن رجلاً ملك الأرض ومن عليها لم يكن بغنى ؛ لأن / الحاجة والفاقة والعجز والفقير لازم له ، وإن ملك جميع الأرض ومن فيها ؛ لأنه إلى الطعام والشراب والجيئة والذهاب والغليظ^(١) ، والشباب ، فالفقير له مقارب في جميع الأسباب .

والله ، تبارك وتعالى ، هو الغنى (الذى) لا يحتاج إلى شئ من جميع الأشياء كلها، وذلك قوله ، عز وجل ، هو الغنى ؛ لأنه لا غنى إلا هو ، تبارك اسمه^(٢) .

مثال على الإضمار في القرآن :

٧٠- وسألت عن قول الله ، عز وجل : ﴿ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ ﴾^(٣) ، فقلت : أرى الجزاء ليس^(٤) إلا للكفور وحده .

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليه ، هذا من الإضمار الذى ذكرت لك فى القرآن ، والمعنى فيه ، وهل يجازى بالعقوبة إلا الكفور ، ومثله من الإضمار ما ذكرت فى قوله : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾^(٥) ، ولم يذكر بعده شيئاً ، والإضمار مشهور فى اللغة الغربية ، قد قدمنا ذكره فى هذه المسائل ، بما فيه الكفاية إن شاء الله .

ومن ذلك قوله الأعشى البكرى :

أقول لما جاءنى قوله سبحان من علمه الفاخر^(٦)

(١) هكذا بالأصل ، وأحسبها : الخليط .

(٢) انظر الإمام يحيى بن حمزة العلوى : الرائق فى تنزيه الخالق ، ص ١٤١ ، و ١٥٣ . (استحالة وجوده تعالى فى الامكنة ، وأين هو ؟) . بتحقيقنا ، وكذلك عقيدة المسلمين فى التنزيه ، ص ٦٧ - ٧٧ .

(٣) سورة سبا : الآية ١٧ .

(٤) فى الأصل : ليس هو .

(٥) سورة النور : الآية ١٠ .

(٦) البيت فى ديوان الاعشى ، ص ١٠٦ ، والخزانة ٤١ / ٢ ، وفى اللسان ٣٤٧ / ١ ، ٢٥٠ / ٢ ، والكتاب لسبويه ٣٢٤ / ١ .

يريد سبحانه الله ، فاضمره ولم يذكره .

هل يجوز التسبيح للنبي ، ﷺ ؟

٧١- وسألت عن قوله ، عز وجل : ﴿ وَتَعَزُّوهُ وَتُقِرُّوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩ ﴾ (١) ، فقلت : إن قال قائل : كيف يجوز التسبيح للنبي ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، والتسبيح لا يكون إلا لله ، جل ثناؤه ؟

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليه ، هذا مستعمل فى لغة العرب ، من قصة تدخل بين قصتين ، قال : ﴿ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (٢) ، ثم ندب إلى نصرته النبي ، صلى الله عليه ، فقال : وتعزروه ؛ أى تنصروه وتوقروه ، والتوقير لا يخفى على أحد ، ثم رجع إلى نفسه ، تبارك وتعالى ، فقال : ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩ ﴾ ؛ لانه قال : ﴿ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ ﴾ ، ثم عطف الكلام حتى عاد إلى تسبيحه هو ، عز وجل .

هل يتجلى الله للأشياء بمعنى الرؤية ؟

٧٢- وسألت عن قوله ، سبحانه ، ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ (٣) ، فقلت : ما معنى التجلى من الله ، عز وجل ؟

قال أحمد بن يحيى ، عليه السلام : قد قيل فيه بأقوال لا أشك أنك قد عرفتها ، وأحسنها عندي ما أنا ذاكره لك ، وهو أولى (٤) بلغة العرب ، وله نظائر من القرآن فافهم حجتك ، إن شاء الله .

قال : (فلما تجلى ربه للجبل) يعنى .. (٥)

تجلى ربه للجبل ، أى تجلى لخلقه الذين كانوا مع موسى ، صلوات الله عليه ، بالجبل ، يعنى أن تجليه بالجبل هو دلالة لهم عليه ، فلما أوقع من الآية التى نظروا

(١) سورة الفتح : الآية ٩ .

(٢) سورة الفتح : السابقة .

(٣) سورة الاعراف : الآية ١٤٣ ، وانظر تفسير الزمخشري لها فى الكشاف فقد اجاد ، ١٥١/٢ - ١٥٦ .

(٤) فى الاصل : أولا .

(٥) ورد بالمعنى تكرير واضطراب احتاج للتقويم .

١٦٧ظ / إليها؛ فقامت اللام الزائدة مقام الباء /؛ لأن حروف الصفات يعقب بعضها بعضاً^(١)، والله، تبارك وتعالى، لا يتجلى للجبل والله، عز وجل، لم يغب عن الجبل منذ خلق الجبل، والتجلى لزم من كان عليه حجاب وستر، ثم تجلى ذلك الحجاب، والله، عز وجل، متقدس متعالٍ عن ذلك؛ لأنه شاهد كل نجوى، وحاضر كل ملا، لا يخلو منه مكان، ولا يخفى عليه^(٢)، والتجلى فقد يعرفه العرب في لغاتها وأشعارها؛ وأنه يجوز عندها على غير تجلى الرؤية، من ذلك قول الشاعر يصف بعض الملوك؛ لأنه تجلى لقوم خالفوا أمره، فوجه لهم عسكرياً ولم يبرح، قال الشاعر:

تجلى لهم بالمشرفية والقنا وإن كان عن طعن الأسيه نائيا^(٣)

فترى كيف خرج التجلى عن العرب، وكيف جوازه في لغاتهم، ومخاطباتهم وقد قال الله، عز وجل، : ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾^(٤)، فكيف يستبقون الخيرات ١٩... لو سبقوا الخيرات لم يكن ذلكم لهم بفخر ولا لهم فيه مديح، وإنما المعنى فيه يُسارعون في الخيرات، وهم بها سابقون فقامت اللام مقام الباء.

قال الشاعر :

لقد لمت أمراً لم تكن لتناله ولا نحن لفضل الله ما نلت ذلكا^(٥)

يريد بفضل الله، فأقام اللام مقام الباء، فهذا حجة في حروف الصفات التي يعقب بعضها بعضاً.

وقد جرى فيما سألت عنه نظائر لهذا في جواباتنا هذه، وفيه لك الكفاية بحول الله وقوته، وبهذا الجواب في هذه الآية : ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾^(٦)،

(١) عقد ابن قتيبة باباً لهذا الغرض في المشكل، ص ٥٦٤ - ٥٧٨.

(٢) انظر جواب القاسم في تفسير التجلى، في المسترشد، ص ٥٩، بتحقيقنا.

(٣) البيت : لم أجده.

(٤) سورة المؤمنون : الآية ٦١.

(٥) البيت : لم أجده.

أجاب أبى الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين (١)، صلوات الله عليه وعلى آباءه الطاهرين .

ليس كمثله شئ ؛

٧٣- وسألت : هل يجرى على الله ، عز وجل ، شئ مما يجرى على المخلوقين فى بعض المعانى من قليل أو كثير ؟! ..

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : هذا قول لا يصح ولا يجوز فى صفة الله ، تبارك وتعالى ؛ لانه يقول فى كتابه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (٢)، وفى هذه الآية كفاية ، لان من صفة الخلق أن الله ، عز وجل ، جعل منه ساكناً ومحتكراً ، وحيأ وميتاً وجمادأ وحيوانأ ، وناطقأ وصامتأ وداخلاً وخارجاً ومنطقعأ وليس يذهب منه شئ إلا فقد ١٦٨ و/ ونقص معناه / وليس يجوز على الله ، جل ثناؤه ، معنى شئ ، وذلك أن جميع ما عددت لك مخلوق والله ، عز وجل ، خلاف ذلك .

ومن الحججة أن الموصوف بتلك الصفة لا يكون فردأ أبداً ، لانك تعلم أن الساكن وسكونه ، والمحرك وحركته ، والحي وحياته ، والميت وموته ، والخارج وخروجه ، والداخل ودخوله .

وعلى مثل ذلك يجرى ما ذكرنا لك ، والله تبارك وتعالى ، برئ من شبه ذلك ، عز وكرم وتقدس ذو السلطان العظيم .

فى الحواس ؛

واعلم أن الله ، جل ثناؤه ، خلق الحواس الخمس ، وهى السمع والبصر والشم والذوق واللمس للحوار والبارد واللين والخشن ، وما أشبه ذلك مما تدركه الحواس الخمس ، ولا يجوز أن يطلق إلى الله ، عز وجل ، منهن ؛ لان السمع إنما سمع صوتأ فحدث له منه علم بالأصوات .

(١) أبو الحسين ، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، ولد بالمدينة سنة ٢٤٥هـ / ٨٥٩ م ، كان إماماً فى زمان جده للزيدية ، ونجح فى إقامة دولة لهم باليمن فدخل صعدة ٢٨٤هـ وأصلح بين القبائل وأحسن السيرة والحكم فيهم ، وكان ذو علم غزير وفقه وفير ، ولقب بالهادى ، ت ٢٩٨هـ ودفن بمسجده وهو يزار للآن ، ومصنفاته كثيرة معروفة ؛ انظر ترجمته فى الأعلام ، ١٤١/٨ ، وتاريخ اليمن للواسعى ، ص ٢١ - ٢٣ ، والفهرست ١٩٤ .

(٢) سورة الشورى : الآية ١١ .

وكذلك البصر إنما رأى شخصاً فحدث له علم الأشخاص ، وكذلك الأنف إنما شم ريحاً فحدث له علم الأرواح ، وكذلك الفم إنما ذاق فحدث له علم بما ذاق من حلو أو مر ، وكذلك اليد إنما لمست فحدث لها علم بالمحسوسات والله ، عز وجل ، الخالق لذلك كله والمصور له والمستغنى عنه ، والله تبارك وتعالى ، خلق الإنسان لا يعلم شيئاً حتى إذا استفاد المعارف والعلوم وكل ما وصفنا (١) .

وذلك فى كتابه ، عز وجل ، : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً ۗ ﴾ (٢) ، فإذا كان الله ، عز وجل ، لا يشبه شيئاً (٣) من جميع خلقه ، فهو من أن يشبه أفعال خلقه أبعد وأجل ، متعالى الله أن يشبه المخلوقات ، وأفعال المخلوقين ، فى شئ من جميع المعانى كلها علواً كبيراً .

حجة الله قائمة قبل مجئ الأنبياء :

واعلم أن حجة الله ، عز وجل ، قائمة بالتوحيد عن الله ، سبحانه ، قبل مجئ الأنبياء وبعد مجيئهم ؛ لأن أنبياء الله ، صلوات الله عليهم ، إنما بلغوا التوحيد عن الله على ما يجوز من الكلام بين الناس .

تأويل الصفات الخبرية فى ضوء المنهج اللغوى :

وقد ذكر الله ، تبارك ، يداً وسمعاً وبصيراً وعلماً ووجهاً ونفساً وجنباً ، وقبضه وبسطه ، ومجيباً واستواء على عرش ، وإتياناً فى ظل من الغمام ، وغير ذلك مما يجوز فى اللغة العربية التى غلط من أهل التشبيه المقصرين فى توحيد الله ، عز وجل ، فانظر أنت ذلك إلى مجاز الكلام ، وكيف مخرجه فى اللغة ، فاحمله عليه ، دون التشبيه الذى يليق بالآدميين ، تصب رشكك إن شاء الله .

١٦٨ ظ / لولا / الاجتزاء بما قد ذكره الهادى الى الحق ، صلوات الله عليه ، فى هذا المعنى فى كتاب «المسترشد» (٤) لشرحناه وبيناه ، ولكن لم يترك الهادى ،

(١) الجملة وكانها ناقصة .. وذلك لانالإمام احمد كان يلى ، فرمما اعتمد على فهم المستمع والتلقى ، ولكن الحقيقة ان

تمام ما سبق فوجما يلى .

(٢) سورة النحل : الآية ٧٨ .

(٣) فى الاصل : م من .

(٤) إحالة على كتاب المسترشد كماله توثيق حقيقى له ، انظر المخطوط بدار الكتب ميكروفيلم رقم (٣١٣ ، ٣٦٤) .

صلوات الله عليه ، لاحد كلاماً مع ما بين فى كتاب «المسترشد» ، والله الحمد والمنة .

هل يهذى الله بعض البشر ويضل آخرين (١) ؟

٧٤- وسالت عن قول الله ، عز وجل : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ (٢) .

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليه : إن من زعم أن الله ، تبارك وتعالى ، دعا (٣) العباد إلى أمر حال بينهم وبينه ، ونهاهم عما قضاه وقدره عليهم أن يعملوا به ، وأراد بذلك المجبر السائل جهله ، وأن يدين لنفسه خطاه ، ويكابر الحق الذى جاء من عند الله ، عز وجل ، صراحاً بدعواه فى قوله الله ، عز وجل ثناؤه ، : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ ، كأنه يرى عن نفسه أن الله ، تقدس وتعالى ، قال لنبية ، محمد صلوات الله عليه ، إن دعوتك للعباد ، وما أرسلناك من البرهان والنور والهدى والبيئات والآيات الواضحات ، لا تنفع الناس شيئاً ، ولكن (٤) أنا أقسر عليه من شئت منهم ١١

وليس ذلك كما تألوه ، ولا كذلك فعل الله ، عز وجل ، إنما كان ذلك أن رجلاً كان من رسول الله ، صلى الله عليه ، بمكان ومنزلة ، فحرص عليه أن يسلم ، فأخبر الله ، سبحانه ، نبية ، صلوات الله عليه وعلى آله ، أن حرصك لا يغنى إذا أبدأ العبد أن يسلم ، فإن أحداً لا يستطيع أن يغلب أحداً على إرادته وهواه ، إلا الله القوى القادر التى يملك تصريف القلوب فى الهدى ، وبيده النواصى والاقدام ، وقال : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً ﴾ (٥) ، أى قسراً وجبراً .

(١) انظر معانى «الهدى» عند ابن قتيبة فى التاويل ، ص ٤٤٣ ، وانظر يحيى بن الحسين فى كتاب «معرفة الله من العدل والتوحيد» ... وفيه معانى «الهدى» ، و«الضلال» ، ٨١/٢ - ٨٣ . وكذلك رسالته فى الرد على شبه المجبرة «معنى إضلال الله وهدايته لمن يشاء» ٣١/٢ .

(٢) سورة القصص : الآية ٥٦ ، هناك كلام محذوف تقديره هل يهذى الله من يشاء ويضل من يشاء ... فلم دعنا للهداية فى القرآن وعلى السنة انبيائه ؟

(٣) فى الاصل : دعا .

(٤) فى الاصل : ولكن .

(٥) سورة هود : الآية ٩٩ .

وكذلك قوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى ﴾ ^(١) ، وليس من صفته ، جل ثناؤه ، أن يجبر أحداً من خلقه على طاعة ولا معصية ، حتى يختار كل منهما ما أراد من ذلك لنفسه ، وبذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ ^(٢) .

الناس شقى وسعيد ^(٣) :

٧٥- وسألت عن قول الله ، عز وجل : ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ ^(٤) ، وقلت مامعنى ذلك ؟

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليه : قوله : ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ ^(٥) ، يقول : ١٦٩ و / منهم ناج بعمله سعيد فى الجنة ، ومنهم شقى بعمله هالك فى النار ، وقال / عز وجل : ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ ^(٦) ، فكيف يكون يدها قدمتا له ذلك ١٩ وإنما هو أمر قسر عليه .

زعمت المجبرة ، وبطل قوله عندهم : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ ^(٧) ، نعوذ بالله ، لنا ولك ، من الجهل فى دينه ، والمعاندة لكتابه إنه منان كريم .

الله لا يفوى أحداً ^(٨) :

٧٦- وسألت عن قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ﴾ ^(٩) ، كأنهم يرون ان القول على ان الله ، عز وجل ، يريد ان يمنكم من الإيمان ، ومما أمرنى ان ادعوكم إليه من الحق !

وليس وجه الآية كما ظنت المجبرة ، وإنما عنى نوح ، صلوات الله عليه ، (إن كان

(١) سورة الانعام : الآية ٣٥ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٦٥ .

(٣) انظر يحيى بن الحسين : شبه المجبرة ، ٢ / ٣٥ (معنى قسمة الله الناس إلى شقى وسعيد) .

(٤) سورة هود : الآية ١٠٥ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ١٨٢ .

(٦) سورة فصلت : الآية ٤٦ .

(٧) انظر يحيى بن الحسين : شبه المجبرة ، ٢ / ٣٨ (معنى إغواء الله الناس) .

(٨) سورة هود : الآية ٣٤ .

الله يريد عذابكم فلن ينفعكم ، والعذاب فهو الغي ، ألا ترى أن الله سبحانه (١) يقول : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ (٥٩) ﴿ (٢) ، يقول : فسوف يلقون عذاباً .

وقول إبليس ، اللعين : ﴿ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ (٣) ، يقول : فيما جعلتني وحكمت علي أنى من المعذبين . فالغى عقوبة كما ذكرنا .

والغى على وجهين ، عقوبة عاجلة ، وعقوبة آجلة ، ما أصاب إبليس من اللعنة وإخراجه مما كان فيه من الكرامة ، والآجلة قول الله ، عز وجل : ﴿ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ (٥٩) ﴿ (٤) يقول : سوف يلقون عذاباً .

وجواب آخر يقول : إن كان الله يريد أن يغويكم ، ولم يقل أراد اغواءكم ، وإنما قال : إن كان . على مجاز الكلام ، ولم يقل إنه قد فعل . وبهذا أجاب القاسم بن إبراهيم ، صلوات الله عليه (٥) .

الله عدل لا يجور

٧٧- وسلت فقلت : ما الدليل على أن الله ، تبارك وتعالى ، عدل لا يجور؟

الدليل على أن الله ، تبارك وتعالى ، عدل لا يجور ، إقرارك أنه غني ؛ لانا لو وجدنا الجائر لا يحمله على الجور إلا استجلاب منفعة يجرها على نفسه ، أو دفع مضرة يجتلبها (٦) على نفسه .

(١) في الاصل : عنا .

(٢) زهادة في الهامش ، سورة مريم : الآية ٥٩ .

(٣) سورة الاعراف : الآية ١٦ .

(٤) سورة مريم : الآية ٥٩ .

(٥) هو القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب العلوي ، الشهير بالرسى ولد سنة ١٦٩ هـ متكلماً ، وفقهياً ، وشاعراً ، من أئمة الزهدية الثرار نهض بالامر بعد وفاة ابن طباطبا ، ودعا للرضا من آل محمد ، وتخفى عشر سنوات ، وانتهى به المقام بجبل الروس بقرب المدينة ، له مصنفات عديدة قيمة اصدروا منها قدراً لا بأس به . انظر ترجمته في كتابنا نقد السلمين للشنوية والمجوس ، ص ٨٣ ، ومعه تحقيق الرد على ابن المقفع . وقد رد على المجبرة في نسبتهم الحتم والطبع والصد والإغواء والتزيين والإضلال فه رب العالمين في مواضع مختلفة من كتبه من ذلك مثلاً :

١- كتاب العدل والتوحيد ونفى التشبيه عن الله الواحد الحميد ، ١٣٩/١ - ١٤٦ .

٢- كتاب الرد على المجبرة ١٧١/١٤ - ١٨٣ (تحقيق د/ عمارة أيضاً) .

٣- الدليل الكبير ، ص ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦ بتحقيقنا .

(٦) في الاصل : بجنتها .

فلما كان ، جل ثناؤه، لا يستجلب إلى نفسه منفعة ، ولا يدفع عنها مضرة ، ثبت بالحقيقة أنه غنى ، وأن الغنى عدل لا يهجو .

وهذه المسألة جواب الهادى إلى الحق ، صلوات الله عليه ، وقولى منها على قوله^(١) .

الإرساء :

٧٨- وسألت عن قول : ﴿أرْسَاهَا﴾ فى مواضع من القرآن ، فقلت : ما معنى ذلك ؟

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليه : أرساها على وجهين فى القرآن كل واحد منهما غير صاحبه .

١- فالوجه الأول : أرساها يعنى به أثبتها . فقال فى سورة النازعات : ﴿وَالْجِبَالُ ١٦٩ ظ / أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾﴾^(٢) يقول أثبتها فى الأرض ؛ لان لا تزول / بمن عليها ، وكقوله : ﴿رَأْسِيَّاتٍ﴾^(٣) ، عنى ثابتات فى الأرض .

٢- والوجه الثانى من أرساها : يعنى به حيناً ، والحين هو الوقت . فذلك قوله ، عز وجل ، فى ذكر القيامة ﴿أَيَّانَ مَرْسَاهَا﴾^(٤) ، يقول مجيئها وقيامه وحينها .

﴿رَبِّ أَرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾

٧٩- وسألت عن قوله ، عز وجل : ﴿رَبِّ أَرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾^(٥) ، فقلت : كيف جاز أن يجعل الله ها هنا جماعة ؟

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : إنما يجوز هذا القول فى التعظيم للمخاطب^(٦) .

(١) انظر يحيى بن الحسين : كتاب فيه معرفة الله من العدل .. ٦٤/٢ .

(٢) سورة النازعات : الآية ٣٢ .

(٣) سورة سبا : الآية ١٣ .

(٤) سورة الاعراف : الآية ١٨٧ .

(٥) سورة المؤمنون : الآية ٩٩ .

(٦) انظر ابن قتيبة : التاويل ، باب «مخالفة ظاهر اللفظ معناه» ، ص ٢٧٥ - ٢٩٨ . وفيه «ومنه أن يخاطب الواحد بلفظ

الجمع» قال فيه : «واكثر من يخاطب بهذا اللوك ، لان من مذاهبهم أن يقولوا نحن فعلنا .. ص ٢٩٣ ، وانظر ابن

فارس : الصاحبى ، ص ١٨٢ السلفية .

٨٠- وسألت عن قوله ، عز وجل : ﴿ أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ (٧٥) ﴿^(١)﴾ ، فقلت : ما معنى هذه النجوم ؟

قال أحمد بن يحيى : عليهما السلام : قد جاء فى التفسير أن القرآن نزل إلى النبى ، صلى الله عليه وعلى آله ، آيات بعد آيات فذلك فى لغة العرب يجوز ، تقول العرب ؛ اجعلوا لنا الدية على آل فلان نجوماً . أى يدفعوها إليهم شيئاً بعد شئ ، فينسمون ذلك نجوماً .

قال زهير بن أبى سلمى :

يُنَجِّمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةً ولم يُهْرِيقُوا بَيْنَهُمْ مِلءَ مِحْجَمٍ ^(٢)

وإنما أقسم بها ، كما أقسم بالطور ، وإنما أراد بهذا القسم أن هذا القرآن كريم ، فهذا موضوع القسم ، وهو عندى الجواب فى هذه المسألة ، والجواب الاول قول بعض أهل العلم .

معانى الجهاد فى القرآن الكريم :

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليه ، تفسير القرآن على ثلاثة وجوه فى القرآن .

١- فالوجه الأول من الجهاد : يعنى به القول ، فذلك قول ، عز وجل ، ﴿ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ ﴾ ^(٣) ، يعنى بالقول جهاداً كبيراً ، وهذا بمكة قبل أن يؤمر بالسيف .

وقال فى سورة النبى ، صلى الله عليه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٤) ، يعنى بالقول الغليظ .

٢- والوجه الثانى من الجهاد : يعنى من القتال بالسلاح ، فذلك قوله : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ

(١) سورة الواقعة : الآية ٧٥ .

(٢) البيت : فى معلقة زهير ، انظر جمهرة أشعار العرب ، ص ١٠٧ .

(٣) سورة الفرقان : الآية ٥٢ .

(٤) سورة التحريم : الآية ٩ .

المُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ ﴿١﴾، يعنى الذين يقاتلون فى سبيل الله على القاعدين درجة ، ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ١٧٠ / وَاللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ / الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ (٢) ، وقال فى براءة : ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ (٣) ، يعنى بالسيف ، ومثلها فى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ (٤) .

٣- والوجه الثالث من الجهاد : يعنى به العمل ، فذلك قوله فى سورة العنكبوت : ﴿وَمَنْ جَاهَدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ (٥) ، يعنى به من يعمل الخير ، فإنما يعمل ل نفسه ، وقال فيها أيضا : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (٦) ، عملوا لنا ، وفى سورة الحج : ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ (٧) ، ويقول : اعملوا لله حتى عمله (٨) .

معنى المكاء :

٨٢- وسألت عن قوله ، عز وجل : ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً﴾ (٩) ، وقلت : ما المكاء ؟ وما مخرجه فى اللغة ؟

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : «المكاء» فى لغة العرب هو «الصفير» (١٠) موجود ذلك فى كلامها وأشعارها ، ومن ذلك قول عنترة العبسى (١١) .

(١) سورة النساء : الآية ٩٥ .

(٢) سورة النساء : الآية نفسها .

(٣) سورة التوبة : الآية ٧٣ .

(٤) سورة التحريم : ويقصد الآية رقم (١) منها .

(٥) سورة العنكبوت : الآية ٦ .

(٦) سورة العنكبوت : الآية ٦٩ .

(٧) سورة الحج : الآية ٧٨ .

(٨) انظر كتابنا مقدمة فى الجهاد ، والدعوة العامة للإمام يحيى بن حمزة العلوى بتحقيقنا ، وفيه أنواع الجهاد ، طبع دار الأفاق .

(٩) سورة الأنفال : الآية ٣٥ .

(١٠) انظر المعجم الوسيط : ج٢ ، مادة «مكأ» .

(١١) عنترة بن شداد عمرو بن معاوية بن قراد العبسى : أشهر فرسان العرب فى الجاهلية ، ومن شعراء الطبقة الأولى . من أهل نجد ، أمه حبشية اسمها ليهبة ، سرى إليه السواد منها . وكان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفساً ، يوصف بالحلم على شدة بطشة ، وفى شعره رقة وعلوية ، وقصته مع ابنة عمه عبللة مشهور ، قابل أمراً القيس فى شبابه ، وشهد «احسن والغبراء» ، وعاش طويلاً ، وقتله أحد شجعان العرب ، وله ديوان شعر مطبوع . انظر ترجمته فى الأعلام ٩١ / ٤ ، وكذلك الأغاني ٢٣٧ / ٨ ، وخرزانة الأدب ٦٢ / ١ ، والشعر والشعراء ، ص ٧٥ ، وجمهرة أشعار العرب ، ص ٩٣ .

وَحَلِيلُ غَانِيَةٍ وَجَدَتْ مُجَدَّلًا تَمَكُّوْا تَرَائِبُهُ كَشَدَقِ الْأَعْلَمِ (١)

يقول: يصفر ويخور عند خروج نفسه ، حين قتله ، وأن ترائبه ، زعم الشاعر ،
مفتحة كشدق الأعلم ، والأعلم فهو مشقوق الشفة .

ذكر الواحد والمقصود به الجماعة ،

٨٣- وسألت عن قول الله ، عز وجل : ﴿ فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا ﴾ (٢) ، فقلت :
كيف جاز أن يقول نفساً واحدة وهم جماعة أنفس ١٩

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليه : ذلك جائز في لغة العرب .

قال الربيع بن زياد العبسي (٣) في نحو ذلك لقومه :

فإن طبن نفساً بمقتل مالك فنفسى لعمرك لا تطيب بذلك (٤)

فصيرهم نفساً واحدة (٥) وهم جماعة رجال كثير .

المهيمن :

٨٤- وسألت عن قوله ، عز وجل : ﴿ وَمُهَيَّمًا ﴾ (٦) ، فقلت : ما معناه ؟ ..

قال أحمد بن يحيى ، رضى الله عنه : المهيمن هو الشاهد (٧) ، قال عبد الله بن
العباس يمدح ابن عمه أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه :

ألا إن خيرَ الناسِ بعدَ محمد مهيمنه التالیه فی العرفِ والنكرِ

وفى أمر المؤمنين ، عليه السلام .

وما يقول ، عز وجل ، لنبيه ، صلوات الله عليه ، : ﴿ أَلَمْ يَنْ كَانَ عَلَيَّ بَيِّنَةً مِّن رَّبِّي

(١) البيت : فى معلقته ، انظر موسوعة الشعر العربى ، ص ٥٤٣ ، وفى الديوان ، ص ١٢٢ ولكنه ذكر رواية اخرى هى :
وحليل غانية ، تركت مجدلاً ... تمكرو فرهصته كشدق الأعلم .. وهو من بحر الكامل .

(٢) سورة النساء : الآية ٤ .

(٣) الربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن ناشب ، العبسي : أحد دهاه .. العرب وشجاعتهم ورؤسائهم فى الجاهلية
«هرون له شعر جيد» . توفي نحو ٣٠ هـ . انظر ترجمته فى الاعلام ١٤/٣ ، والأغانى ١٦/١٩ .

(٤) البيت : لم أجده .

(٥) فى الاصل : نفساً وحداً جماعة .

(٦) سورة المائدة : الآية ٤٨ .

(٧) انظر للمعجم الوسيط مادة «هيمن» ١٠١٥/٢ ، وانظر القشيري : شرح أسماء الله الحسنى ، ص ١٤٤ ، اسم الله
«المهيمن» تحقيق ١/ أحمد عبد المنعم عبد السلام ، الحلوانى .

وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴿١﴾ ، يعنى بذلك النبى ، صلى الله عليه ، والتالى (٢) على ، رضى الله عنه .

المقيت :

٨٥- وسألت عن قوله ، عز وجل : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتِبًا ﴾ (٨٥) ﴿٣﴾ ، فقلت :
مامعنى مقيتاً ؟ ..

١٧٠ ظ / قال أحمد بن يحيى / عليهما السلام ، «المقيت» فى لغة العرب بفتح الميم ، القادر على الشئ ، و«المقيت» بفتح الميم فهو «البيض» (٤) ، قال قيس بن الأسلت الأنصارى ، يذكر الاقتدار على الشئ ومعناه ، فقال :

وَذِي ضِغْنٍ كَفَفْتُ النَّفْسَ عَنْهُ وَكُنْتُ عَلَىٰ إِسَاءَتِهِ مُقْتِبًا (٥)

يعنى : قديراً .

الوكيل :

٨٦- وسألت عن قوله ، عز وجل : ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١٠٢) ﴿٦﴾ ، فقلت : إن قال لنا قائل : كيف يجوز أن يكون الله ، عز وجل ، وكيلاً ؟

ويقول العبد : الله وكيلى ، وكيف الجواب فى هذا المعنى ؟

قال أحمد بن يحيى ، عليهما السلام : قد بلغنى أن القرامطة (٧) الكفار ، عليهم

(١) سورة هود : الآية ١٧ .

(٢) فكرة السابق والتالى فى الوصاية والإمامة الشعبية ، إلا ان الزيدية حصروها فى الإمامة الزمنية فقط ، والإمام أحمد يقصد بها تلاوة القرآن هنا .

(٣) سورة النساء : الآية ٨٥ .

(٤) نظر المعجم الوسيط : ج٢ / ٧٧١ ، مادة : «قوت» ، ج٢ / ٨٨٦ ، وانظر القشيري : شرح أسماء الله الحسنى ، ص٢٢٥ ، اسم الله «المقيت» .

(٥) البيت : فى جمهرة اللغة ، ٤٠٧/١ ، وفى اللسان مادة «قوت» ونسبه لأبى قيس بن رفاعة أو للزبير بن عبدالمطلب ، وانظر إصلاح المنطق ، ص٢٧٦ ، والمخصص لابن سيده ٩١/٢٤ ، والمقائيس لابن فارس ٣٨/٥ .

(٦) سورة الانعام : الآية ١٠٢ ، جاءت خطأ من الناسخ .

(٧) القرامطة : فرقة من غلاة الشيعة ، نسبة إلى رجل من سواد الكوفة يقال له «قِرْمَط» ، وهم السجعية أيضاً ، والباطنية ؛ لانهم قالوا : إن لكل ظاهر باطناً ، ولكل تنزيل تاويلاً ، انظر الغزالي فضائح الباطنية ، ويحيى بن حمزة «مشكاة الأنوار» .

لعنة الله ، يحتجون بهذه الآية على جهال الناس ، ويغالطون الغباة وأهل الغفلة ، ويقولون : كيف يجوز أن يكون وكيلاً ، وإنما له الوكلاء ؟..

يريدون بذلك الإلحاد ، وأن (كون وقدر خالقان) ^(١) ، وذلك من جهل من يلقون من الناس ، بالدين وبلغة العرب ، التي خاطب الله بها ^(٢) ، عز وجل ، رسوله ، ﷺ ، وخاطب رسول الله ، صلى الله عليه ، القوم أهل اللسان العربى الذى بعث ، صلوات الله عليه ، إليهم به .

فالجواب لهم ، عليهم لعنة الله ، أن يقال لهم : إن اللغة العربية واسعة ، جعلتها القرامطة وغيرهم ، ولذلك موهوا على الخلق الذين لا يعقلون .

ومن ذلك أن العرب تسمى كثيرة بأضدادها من الكلام ، من ذلك أنك تقول : فلان مولاي الذى اعتقته ، وفلان مولاي الذى أعتقنى ، فجاز الاسم لهما جميعاً وهما ضدان ؛ ويسمى العرب «المكبرى» الذى يكبرى الإبل «كريباً» ، وتسمى «المكترى» الذى اكترى من الجمال أيضاً «كريباً» ، قال الشاعر :

كريبة لا تطعم الكرياً ومثلها لا يصحب المطيا ^(٣)

قال رسول الله ، صلى الله عليه : «البيعان بالخيار ما لم يفترقا» ^(٤) .

يعنى البائع والمشتري ، فسامهما بيعان ، وإنما أحدهما بيع ، والآخر مشتري .

و«الوكيل» يجوز فى لغة العرب المالك للشئ كله ، يسمى «وكيل» شئى أى «مالكه» ، والوكيل لغيره يسمى وكيلاً ، وكل ذلك جائز فى اللغة معروف غير منكر ، والحمد لله .

لأما ذهبوا إليه من الكفر ، وأن كون وقدر يخلقان من دون الله ، عز وجل ، وتقديس عما قالوا علواً كبيراً .

(١) زيادة من الهامش .

(٢) فى الأصل : به .

(٣) البيت : لم أجده

(٤) الحديث : رواه البخارى ٨٣/٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ومسلم ٩/٥ - ١٠ ، واهو داود ٢٧٢/٣ - ٧٤ ، والترمذى ٥٤٧/٣ -

٥٥١ ، والنسائى ٣٨/٧ ، ٢٥٢ ، وابن ماجه ٧٣٥/٢ - ٧٣٦ ، ومالك فى موطعه ٧٩/٢ . واحمد فى مسنده فى

مواضع منها ٥٢ ، ٩ ، ٤/٢ .

معنى الجعل فى كتاب الله :

١٧١ و / ٨٧ - وسألت عن قوله ، عز وجل ، ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ (١) ، وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾ (٢) ، فقلت : ما معنى هذا فى العدل ١٢ ..

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليه : اعلم أرشدك الله ، أن الجعل فى كتاب الله ، عز وجل ، يخرج عل يوجهين .

١- فمنه جعل حتم ، وهو قوله ، عز وجل ، : ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ ﴾ (٤) وما أشبه ذلك من جعل الحتم .

٢- والجعل الآخر فهو قوله ، عز وجل ، : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾ ، فذلك جعل حكم وتسمية ، أى جعلناهم وسميناهم بفعالهم ، وكذلك أئمة الهدى استحقوا الإمامة بالهدى والتقوى فحكم لهم بالعدل والتقوى ، وجعلهم أئمة لعباده ، وكهفًا ونجاة (٥) .

فى معنى الشعوب والقبائل :

٨٨- وسألت عن قوله ، عز وجل ، : ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ (٦) ، فقلت : ما الشعوب والقبائل ؟

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما : أما القبائل فهى قبائل العرب ويطون العرب ، وأفخاذ العرب ، ورؤس العرب ، كل ذلك شىء واحد ، تقول العرب : قد نزلت فى موضع كذا وكذا رأس بنى فلان من بنى فلان : تريد قبيلة (٧) .

وقال ذو الرمة فى نحو ذلك يصف الإبل :

تبركُ بالسَّهْلِ القَطَا وتنفسى
غداها برأسٍ من تميمٍ عرمرم (٨)

(١) سورة الانبياء : الآية ٧٣ .

(٢) سورة القصص : الآية ٤١ .

(٣) سورة الانبياء : الآية ٣٧ .

(٤) سورة الإسراء : الآية ١٢ .

(٥) انظر يحيى بن الحسين : الرد على ابن المنفية ، ٢٠٨/٢ .

(٦) سورة الحجرات : الآية ١٣ .

(٧) انظر المعجم الوسيط مادة « القبيلة » ، ٧٢٠/٢ .

(٨) البيت : ليس فى ديوانه .

يريد بالرأس قبيلة .

وأما الشعوب فإنها قبائل العرب وبطونها وأفخذها ، مثل ذلك سواء (١) .

معنى الكفر وأنواعه ،

٨٩- وسألت عن تفسير الكفر كيف هو في القرآن ، وما كفر المحمود من كفر النعمة ؟

قال أحمد بن يحيى ، عليه السلام : الكفر على أربعة وجوه في القرآن :

١- فالوجه الأول الكفر بتوحيد الله : عز وجل ، والإنكار له ، فذلك قوله ، عز وجل ، في سورة البقرة : ﴿ سَاءَ عَلَيْهِمْ أَنْذَرْتَهُمْ ﴾ (١) ، يعني خوفتهم ، أم لم تنذرهم أم لم تخوفهم ، لا يؤمنون ، يعني الذين كفروا بتوحيد الله ، جل ثناؤه ، وكقوله في المفصل : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (٢) ، يعني الذين كفروا بتوحيد الله ، جل ثناؤه .

كقوله في سورة الحج : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (٤) ، يعني الذين كفروا بتوحيد الله ، عز وجل .

٢- والوجه الثاني (من) الكفر كفر المحمود : فذلك قوله ، عز وجل ، في سورة البقرة : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٨٩) (٥) ، وهم يعرفونه ، نظيرها في سورة الانعام : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ (٦) ، (يعني يعرفون النبي ، صلى الله عليه وعلى آله ، كما يعرفون أبناءهم) (٧) ؛ لأن نعتهم معهم في التوراة : ﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٨) ؛ لانهم كفروا به بعد ١٧١ ظ / المعرفة ، وكقوله في سورة البقرة أيضاً : (الذين آتيناهم الكتاب /

(١) انظر المعجم الوسيط مادة «الشعب» ، ٤٨٦/١ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٦ .

(٣) سورة محمد : الآية ١ .

(٤) سورة الحج : الآية ٢٥ .

(٥) سورة البقرة : الآية ٨٩ .

(٦) سورة الانعام : الآية ٢٠ .

(٧) زيادة من الهامش .

(٨) سورة الانعام : الآية ٢٠ .

يعرفونه... ويعرفون قبله الكعبة ، كما يعرفون أبناءهم : ﴿ وَإِنَّ لِرَبِّسِقَا مِنْهُم لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١٤٦) ﴿ (١) .

٣- والوجه الثالث من الكفر ، كفر النعمة : وذلك قوله فى سورة البقرة : ﴿ وَأَشْكُرُوا لِي ﴾ (٢) يعنى النعمة ، ﴿ وَلَا تَكْفُرُونَ ﴾ (١٥٢) : يعنى النعمة ، وكقول فرعون ، اللعين ، لموسى ، صلى الله عليه ، ﴿ وَقَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٩) ﴿ (٣) ، يعنى لنعمتى ، حين رباه صغيراً .

وكقول سليمان ، صلى الله عليه ، فى سورة النمل : ﴿ أَأَشْكُرُ ﴾ ما اعطيت من الملك ﴿ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ (٣) يعنى أشكر النعمة على إذا رأيت (من) (٤) هو دونى ، أم أكفر يعنى النعمة .

وكقوله : ﴿ فَكَفَرْتَ بِأَنْعَمِ اللَّهِ .. ﴾ (٥) ونحوه فى القرآن الكثير .

٤- والوجه الرابع (من) (٦) الكفر يعنى البراء ، فذلك قول إبراهيم ، صلوات الله عليه ، لأبيه وقوله : ﴿ كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾ (٧) ، يعنى تبرأنا منكم ، وكقوله فى سورة العنكبوت : ﴿ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ .. ﴾ (٨) ، يعنى يتبرأ بعضهم من بعض .

وكقوله إبليس اللعين ، فى سورة إبراهيم ، صلى الله عليه : ﴿ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي ﴾ (٩) ، ونحوه فى القرآن كثير ، فافهم ذلك أعانك الله ، وأرشدك ، والسلام (١٠) .

(انتهى)

-
- (١) سورة البقرة : الآية ١٤٦ .
 - (٢) سورة البقرة : الآية ١٥٢ .
 - (٣) سورة الشعراء : الآية ١٩ .
 - (٤) زيادة ليست فى الاصل .
 - (٥) سورة النحل : الآية ١١٢ .
 - (٦) زيادة ليست فى الاصل .
 - (٧) سورة الممتحنة : الآية ٤ .
 - (٨) سورة العنكبوت : الآية ٢٥ .
 - (٩) سورة إبراهيم : الآية ٢٢ .
 - (١٠) انظر أنواع الكفر عند يحيى بن الحسين : كتاب فيه معرفة الله من العدل والتوحيد ، ... ٩٤/٢ .